بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢)﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾ [النساء : ١] .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب : ٧٠ ـ ٧١] .

أما بعد :

فهذه ثلاث رسائل في بيان أمر التوحيد والتحذير من الشرك المعاصر بصوره . نضعها بين يدي طالب العلم والحق الذي يريد أن ينجو بدينه وتوحيده في هذا الزمان الذي ظهرت فيه بعض صور الشرك التي تخفى على الكثير إلا من أنجاه الله ورحمه ، وقد قمنا ببسط هذه المواضيع في عدة رسائل منفردة أسميناها بـ«سلسلة رسائل ميراث الأنبياء» ، ومن أعظم ما ورثته الأمم من أنبيائها توحيد الله عزَّ وجل .

قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦)﴾ [النحل : ٣٦]

و العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورّثوا العلم . فمن أخذه أخذ بحظ وافر .

ومن أعظم هذه العلوم علم التوحيد الذي من أجله خلق الله العبيد .

قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات :٥٦] .

وقال تعالى : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد :١٩] .

ومن العلم بلا إله إلا الله العلم بشروطها وأركانها ونواقضها ومستلزماتها . وهذا ما قد تناولته الرسالة الأولى من هذه السلسلة حيث إن فيها بيان معنى التوحيد بشروطه وأركانه ونواقضه وأصوله وقواعده .

أما الرسالة الثانية فإن فيها بيان أن من تحاكم إلى الطاغوت لم يكفر به ، وليس المقصود هنا الذين يحكمون بالطاغوت ، وإنما المقصود بذلك الذين يتحاكمون إليه ويفضون النزاع عنده .

وللأسف الشديد نجد ونرى من الناس في هذا الزمان من يتحاكم إلى الطاغوت من أجل حفنة من مال أو منصب أو غير ذلك من هذه الأمور ، وما علم هؤلاء أن الإنسان لا يجوز له أن يتخلف عن الجهاد من أجل هذه الأمور ، وإذا ما تخلف عن الجهاد بسبب هذه الأمور الثمانية التي ذكرها الله تعالى بقوله : ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة :٢٤] .

فهل يكون معذوراً؟ فالجواب لا ، لأن الله تعالى ذمهم لهذه الأسباب الدنيوية التي تعلقوا بها وتركوا الجهاد .

فالسؤال هنا : الذي يترك التوحيد ويفعل الشرك من أجل هذه الأمور الثمانية أشد ، أم الذي يترك الجهاد؟ فالجواب : بلا شك أن تارك التوحيد أشد من تارك الجهاد . وإذا كان الله عزَّ وجل لم يعذر تارك الجهاد بسبب هذه الأمور الثمانية ، فكيف يعذر التارك للتوحيد من أجل هذه الأمور ، هذا ولم يعذر الله تعالى إلا المكرهين بقول الكفر ، والمكره هو أن يُفعل به كما فُعل بعمار بن ياسر - رضي الله عنه - ، وهذا من باب الرخصة ، والأخذ بالعزيمة أفضل ، كما جاءت في ذلك الأحاديث .

يقول الشيخ حمد بن عتيق - رحمه الله - في رسالته «**بيان سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك**» تعليقاً على الآية السابقة :-

(فنهى سبحانه وتعالى عن موالاة أبيه وأخيه - الذين هما أقرب الناس إليه - إذا كان دينهما غير الإيمان ، وبيَّن أن الذي يتولى أباه وأخاه إذا كان كافرين فهو ظالم ، فكيف بمن تولى الكافرين الذين هم أعداء له ولآبائه ولدينه؟ أفلا يكون هذا هو الظالم؟ بل والله إنه لمن أظلم الظالمين .

ثم بيَّن تعالى أن هذه الثمانية لا تكون عذراً في موالاة الكافرين ، فليس لأحد أن يتولاهم خوفاً على أبيه ، أو أخيه ، أو بلاده ، أو ماله ، أو مشحته بعشيرته ، أو مخافته على زوجاته ، فإن الله قد سدَّ على الخلق باب الأعذار بأن هذا ليس بعذر .

فإن قيل : قد قال كثير من المفسرين : إن هذه الآية نزلت في شأن الجهاد فالجواب من وجهين :

أحدهما أن نقول : إذا كانت الثمانية ليس بيانها عذراً في ترك الجهاد الذي هو

فرض على الكفاية ، فكونها لا تكون عذراً في ترك عداوة المشركين ومقاطعتهم بطريق الأولى .

الوجه الثاني : أن الآية دالة على ما ذكرنا . كما دلت على الجهاد ، فإنه قال : ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ﴾ [التوبة :٢٤] ، فمحبة الله ورسوله توجب إيثار عداوة المشركين ومقاطعتهم على هذه الثمانية ، وتقديمها عليها ، كما أن محبة الجهاد توجب إيثاره عليها) أهـ (مجموعة التوحيد ـ الرسالة الثانية عشر) .

وأما الرسالة الثالثة التي تناولتها هذه السلسلة «ميراث الأنبياء» ، هو الرد على من أجاز الدخول في البرلمانات والمجالس التشريعية وبيان أن المرشح نفسه والمصوت له كلاهما واقع في الشرك الأكبر .

نسأل الله عزَّ وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يحفظنا من الشرك بجميع صوره ، وأن ينجينا من الوقوع في الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وأن يرزقنا السداد في الإعتقاد والقول والعمل ، وأن يعصمنا من الوقوع في الكفر والزلل ، إنه على ذلك قدير ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

مقدمات تمهيدية

المقدمة الأولى
توحيد الله عزَّ وجلَّ
هو الغاية من وجود الخلق

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

اعلم - أخي - رحمنا الله وإياك - أن التوحيد هو الغاية التي من أجلها خلق الله جميع العبيد من الجن والإنس ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات :٥٦] . أي ليوحدون : (يعبدوني وحدي) وهو معنى لا إله إلا الله .

وهو الغاية التي من أجلها بُعث جميع الرسل أجمعين ، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل :٣٦] .

وقال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء :٢٥] .

فإفراد الله بجميع أنواع العبادة هو الغاية العظمى التي من أجلها خلق الله العباد ، وأقام السماوات والأرض ، وأرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، وتفرق الناس بها ما بين مسلم موحد وكافر مشرك ، قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾﴾ [التغابن :٢] .

وشرع لأجلها الجهاد لكي تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى . فلابد إذاً من تحقيق هذا الأصل العظيم والكلمة العظيمة . لذا ينبغي على المسلم - في مثل هذا الزمان - معرفة هذه الكلمة وما دلّت عليه وما تقتضيه وتستلزمه ، وألا يكون جاهلاً بها ، أو معرضاً عن تعلمها ، لأن الجهل بها كفر ، وليس هو عذراً لصاحبها في بقائه على إسلامه كما سوف يأتي .

وقد أقام الله سبحانه وتعالى الحجة على جميع الخلق بإرسال الرسل . فمن جاءه الرسول وسمع به ، وبلغته الرسالة فقد قامت عليه الحجة .

قال تعالى : ﴿رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء :١٦٥] .

وقال تعالى : ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنعام :١٩] .

والرسل هم أنبياء الله عزَّ وجلَّ الذين يُوحى إليهم ، وأرسلوا برسالات من عند الله تعالى يبلغونها للناس ، وليس هم عموم الناس أو العلماء والمشايخ الذين يقيمون الحجة على كل فرد . يقول الإمام ابن قيم - رحمه الله - في كتابه المدارج : «اعتراف العبد بقيام حجة الله عليه من لوازم الإيمان . أطاع أم عصى ، فإن حجة الله قامت على العبد بإرسال الرسول ، وإنزال الكتاب ، وبلوغ ذلك إليه ، وتمكنه من العلم به ، سواء علم أم جهل ، فكل من تمكّن من معرفة ما أمر الله به ونهى عنه ، فقصّر عنه ولم يعرفه . فقد قامت عليه الحجة ، والله سبحانه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه ، فإذا عاقبه على ذنبه عاقبه بحجته على ظلمه . قال الله تعالى : ﴿من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضلُ عليها ولا تزرُ وازرةٌ وزر أُخرى وما كُنا مُعذبين حتى

نَبْعَثَ رَسُولاً (١٥)﴾ [الإسراء :١٥] . وقال : ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ (٩)﴾ [الملك :٨ـ ٩] . وقال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (١١٧)﴾ [هود :١١٧] أهـ .(١)

ويقول أيضاً رحمه الله عند ذكره للآيات السابقة .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ (٥٩)﴾ [القصص :٥٩] .

وقوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ (١٣١)﴾ [الأنعام :١٣١] .

قال : وهذا يدل على أنهم ظالمون قبل إرسال الرسل ، وأنه لا يهلكهم بهذا الظلم قبل إقامة الحجة عليهم . فالآية ردٌّ على الطائفتين معاً ، من يقول : إنه لا يثبت الظلم والقبح إلا بالسمع ، ومن يقول : إنهم معذبون على ظلمهم بدون السمع ، فالقرآن يُبطل قول هؤلاء وقول هؤلاء ، كما قال تعالى : ﴿وَلَوْلا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧)﴾ [القصص :٤٧] . فأخبر أن ما قدمت أيديهم قبل إرسال الرسل سبب لإصابتهم بالمصيبة ، ولكن لم يفعل سبحانه ذلك قبل إرسال الرسول الذي يقيم حجته عليهم . كما قال تعالى : ﴿رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥)﴾ [النساء :١٦٥] ، وقوله تعالى : ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٢٣٩)

﴿١٥٧﴾ [الأنعام :١٥٧] ، وقوله تعالى : ﴿أن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [الزمر :٥٦] .

وهذا في القرآن كثير يخبر أن الحجة إنما قامت عليهم بكتابه ورسوله ، كما نبههم بما في عقولهم وفطرهم من حسن التوحيد والشكر وقبح الشرك والكفر »أهـ .(١)

(١) مدارج السالكين (٣/ ٥١١) .

المقدمة الثانية

معنى التوحيد

إن التعاريف عند أهل العلم في معنى التوحيد ومعنى لا إله إلا الله متعددة . فأدقها وأشملها أضبطها في الواقع . فمنهم من عرَّف التوحيد ومعنى لا إله إلا الله : أي لا معبود بحق إلا الله ، ومنهم من عرَّفه : بأنه هو الكفر بالطاغوت والإيمان بالله . ولا شك أن التعريف الأول صحيح ، ولكن التعريف الثاني أدق وأشمل ، لأن المشرك الذي يعبد الله عزَّ وجلَّ ويعبد غيره وهو جاهل بمعاني العبودية . إذا ما قلنا له لا إله إلا الله : أي لا معبود بحق إلا الله . قال لنا : أنا منهم ! ! وأنا لا أعبد إلا الله ، جهلاً منه بمعاني العبادة كالذبح والنذر والاستغاثة والطواف والتحاكم وغيرها . وأن صرفها لغير الله عزَّ وجلَّ ليس بشرك ، ولكن إذا ما قلنا له معنى : لا إله إلا الله : هو الكفر بالطاغوت والإيمان بالله . فإنه سوف يتبادر في ذهنه ما هو الطاغوت وأنواعه وكيف يكفر به ، فيبحث عن هذه المعاني ليتعلمها ومن ثَمَّ ليحققها ، وهو ما يُسمَّى عند أهل العلم بالتخلية قبل التحلية . فلابد على من أراد أن يحقق التوحيد الخالص لله عزَّ وجلَّ أن يتخلى من الشرك أولاً ، ويخلع جميع الأنداد والآلهة والأرباب والطواغيت التي تُعبد مع الله عزَّ وجلَّ ثم يتحلَّى بعد ذلك بالإيمان بالله عزَّ وجلَّ وحده دون ما سواه ، لذلك من حكمة الله تعالى أن قدَّم الكفر بالطاغوت على الإيمان به سبحانه ، وفي شهادة لا إله إلا الله النفي على الإثبات .

وبهذا يتنبه الإنسان للركن الأول من أركان التوحيد وهو الكفر بالطاغوت ثم الإيمان بالله فيتحقق بذلك التوحيد . لا سيِّما أن التعريف الثاني منصوص عليه كما قال تعالى : ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦)﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

المقدمة الثالثة

كيف تحقق التوحيد في زمن الشرك

إن التوحيد يندرس وتذهب معانيه ودلالاته عبر الأزمنة بأسباب عدة منها :

١ ـ اندراس اللغة العربية ، ومعرفة دلالاتها .

٢ ـ اندراس العلم الشرعي .

٣ ـ تقليد الآباء والأجداد .

٤ ـ اتباع الأحبار والرهبان والعلماء الملبسين في دين الله تعالى ، والكاتمين لدينه ، الآكلين بآيات الله ثمناً قليلاً .

ولو استقرأنا آيات القرآن وأحاديث السنة لوجدنا أن هذه الأسباب هي أسباب ضلال الأمم ، ومع هذا حكَم الله تعالى على هذه الأمم بالكفر .

يقول الله تعالى عن أهل النار : ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب : ٦٧ ـ ٦٨] . ويقول الله تعالى عن الكافرين : ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزخرف : ٢١ ـ ٢٢ ـ ٢٣] . ويقول الله تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة : ٣٠ ـ ٣١] .

وروى الإمام البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣)﴾ [نوح: ٢٣]. قال: «صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ودٌّ فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأم يغوث فكان لمراد، ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح. فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسمّوها بأسمائهم ففعلوا فلم تُعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عُبدت».

وروى البخاري في صحيحه عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلّوا وأضلوا».

وقد يتساءل متسائل هنا كيف يضل الناس وبينهم كتاب الله عزَّ وجلَّ. فنقول جواباً على ذلك: إن المتأمل في تاريخ الأمم السابقة يعلم علم اليقين أن الضلال قد يقع فيه الناس فيشركون بالله تعالى ولو كان كتاب الله بين أيديهم ورسول الله بين ظهرانيهم. فهاهم بنو إسرائيل الذين أشركوا بالله تعالى وضلوا مع وجود أنبياء الله بين أظهرهم، قال الله تعالى عنهم: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) إِنَّ هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٩)﴾ [الأعراف: ١٣٨ - ١٣٩].

وعندما ذهب موسى عليه السلام لميقات ربه جل وعلا اتخذ قومه من حليهم عجلاً جسداً لو خوار فعبدوه، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ

عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (١٤٨) وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (١٤٩) وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١٥٠)﴾ [الأعراف :١٤٨ ـ ١٤٩ ـ ١٥٠] .

وفي سورة طه قال الله تعالى : ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ (٨٣) قَالَ هُمْ أُولاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ (٨٤) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (٨٥) فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي (٨٦) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (٨٧) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ (٨٨) أَفَلا يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا (٨٩) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (٩٠) قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ (٩١) قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلاَّ تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (٩٣) قَالَ يَا بْنَؤُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (٩٤) قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ (٩٥) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (٩٦) قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (٩٧) إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا (٩٨)﴾ [طه :٨٣] .

فتأمل ـ رحمك الله ـ هذه النصوص . . ، فإذا كان هؤلاء القوم مع وجود أنبياء

الله تعالى بين أظهرهم ورأوا من الآيات والمعجزات ما يدل على ربوبية الله تعالى ووحدانيته وقدرته الشيء الكثير ، قد أشركوا بالله سبحانه ، وضلوا ضلالاً بعيداً ، فكيف في مثل هذا الزمان الذي تفشَّى فيه الجهل ، واندرست فيه كثير من حقائق التوحيد ومعانيه ، وتكلم فيه الجاهل ، وسكت وكتم فيه العالم ، ولبَّس فيه أولياء الشيطان من الإنس والجن؟ ! . . . أفلا يكون هذا الزمان من دخول الناس وتخبطهم في ظلمات الشرك أوْلى من ذلك الزمان؟ ! ! . سيِّما وهو القائل ﷺ : «لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه» قلنا يا رسول الله ، اليهود والنصارى؟ ، قال النبي ﷺ : «فمن؟» رواه البخاري .

فهذه بعض الآيات والأحاديث الدالة على تلك الأسباب «أسباب ضلال الأمم» . فإذا عرفنا إذاً السبب عرفنا العلاج وهو بعكسه . فعندما ذهبت اللغة العربية والمعاني الشرعية تبعاً لها جاء أهل العلم ـ رحمهم الله ـ وأصلوا للتوحيد أصولاً وقعدوا له قواعد وجعلوا له أركاناً وشروطاً ونواقض لضبط هذا التوحيد . فالعربي القرشي كان يعرف مدلولات لا إله إلا الله بأركانها وشروطها ونواقضها بمجرد الكلمة ، لأنه يعرف مدلولات اللغة العربية وما يترتب عليها من مدلولات شرعية ، فعندما ذهبت اللغة ذهبت المدلولات . فوجب على الإنسان حينئذ معرفة حقيقة لا إله إلا الله بأركانها وشروطها ونواقضها ، وهذا ما سوف يأت بيانه وتفصيله ـ بمشيئة الله تعالى ـ في الرسالة الأولى من هذه السلسلة . سلسلة رسائل «ميراث الأنبياء» .

المقدمة الرابعة

مفهوم الدين

﴿لكم دينكم ولي دين﴾

كل فكرة جاءت أو سوف تأتي فيها تحريف لمعنى الربوبية أو الألوهية فهي دين غير دين الإسلام ، ولو كان أصحاب هذه الفكرة ملتزمون بجل تعاليم الإسلام ، ولكن حرَّفوا معنى من معاني توحيد الربوبية أو الألوهية فقد جاؤوا بدين غير دين الإسلام ، وهم ليسوا على شيء .

فإذا جاء الديمقراطيون ، وحتى الذين ينتسبون إلى الإسلام ، أو إلى الدعوة الإسلامية ، فرشَّحوا أنفسهم مشرِّعين في السلطة التشريعية التي تصرف لأعضائها حق التشريع المطلق فقد نازعوا الله تعالى في هذه الصفة الفعلية الخاصة به سبحانه ، وجاؤوا بدين غير دين الإسلام ، ولو التزموا جل الإسلام ، ولو كانوا من الدعاة إلى الإسلام ، فهؤلاء قد غيَّروا وبدَّلوا معنى الدين وجاؤوا بدين جديد ، وهو دين الديمقراطية ، نعم يُطلق على الديمقراطية بأنها دين ، لأنها صرفت معنى من معاني الربوبية وهو التشريع المطلق للبشر . فكل دين باطل يُسمَّى دين نكرة ﴿لكم دينكم ولي دين﴾ [الكافرون :٦] . ولكن الدين الحق معرَّف دائماً بـ«الدين الخالص» أو «الدين القيِّم» ، ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ [الزمر :٣] . ﴿ذلك الدين القيم﴾]يوسف :٤٠] . ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ [آل عمران :١٩] .

ومن أخطر الأفكار والأديان هو ذلك التحريف لمعنى الربوبية والألوهية ، ونجد أصحاب هذا الفكر والدين الجديد قد تلبَّسوا لباس الإسلام ، ويدعون أنهم دعاة إلى الإسلام ، فهذا من أخطر التغيير ، لأن اللبس يكون كبيراً وعظيماً . أما الأديان التي هي بعيدة عن الإسلام فهذه مكشوفة في العراء ، بيِّنة للناس .

فالمقياس الصحيح لهذه الجماعات التي تنتسب للإسلام وتزعم أنها تدعو إلى الإسلام . أن ننظر في حالها فإن كانت ممن تؤيد الأفكار الشركية المعاصرة من الدخول في البرلمانات وتجويز التحاكم إلى الطواغيت ، أو أنهم يعتبرون أن هذه الأمور مما يستساغ فيه الخلاف ، أو أنهم لا يلتفتون إلى هذا الشيء ، لأنه يفرق . فإن كان حال هؤلاء في مثل ما تقدم . فاعلم أن ما هم عليه من دعوى إنما هي دعوى جاهلية شركية ، وأنهم ليسوا على دين الإسلام .

وبهذا الضابط لمعنى الدين الذي تقدم يكون لدينا صمام أمان لحفظ التوحيد على مر الأزمان من التغيير والتحريف .

المقدمة الخامسة

ملة الحنفاء وملة السفهاء

إن الذي يستقرأ آيات الله عزَّ وجلَّ يجد أن السفهاء هم الذين ضلوا عن التوحيد وقلّدوا الآباء والأجداد والكبراء، وأشركوا بالله تعالى ومالوا عن ملة التوحيد إلى ملة الشرك، فكانوا بذلك سفهاء، وإن كانوا أصحاب حضارة فهم سفهاء، لأنهم لم يتعلموا الشيء الذي من أجله خُلقوا. قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ⑦﴾ [الروم: ٧].

فتجدهم يحركون عقولهم في كل شيء إلا في الغاية التي من أجلها خلقوا، فهم بلا شك سفهاء. يقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ⑬⓪﴾ [البقرة: ١٣٠]. ويقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ ⑬﴾ [البقرة: ١٣].

أما الحنفاء فهم الموحدون الذين حققوا التوحيد الخالص لله عزَّ وجلَّ ومالوا عن ملة الشرك إلى ملة التوحيد.

قال ابن منظور في لسان العرب: «ومعنى الحنيفية في اللغة المَيْلُ، المعنى أن إبراهيم حَنَفَ إلى دين الله ودين الإسلام، وإنما أخذ الحنف من قوله رَجُلٌ أحنف ورِجْلٌ حنفاء، وهو الذي تميل قدمها كل واحدة إلى أختها بأصابعها...».

قال الزجاجي: «... الحنيف في الجاهلية من كان يحج البيت ويغتسل من الجنابة ويختتن، فلما جاء الإسلام كان الحنيف المسلم، وقيل له حنيف لعدوله عن الشرك» أهـ.[1]

---

(١) لسان العرب (٣/ ٣٦٢).

فالحنيف إذاً هو المائل عمَّا تطبع عليه الناس من الشرك والضلالة .

الحنيف هو الفطن الذكي ، وإن كان لا يتقن من علوم الدنيا شيئاً ، لأنه قد حرَّك عقله في معرفة توحيد الله تعالى والتزمه فحقق غاية وجوده في هذه الأرض . لذلك وصف الله تعالى نبيه إبراهيم ـ عليه السلام ـ بالحنيفية . أي أنه مائل عن الشرك الذي تطبَّع عليه الناس في ذلك الزمان . قال تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٢١) وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٢) ﴾ [النحل : ١٢٠ ـ ١٢١ ـ ١٢٢] .

وأمرنا الله تعالى أن نكون على ملته : ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٣) ﴾ [النحل :١٢٣] .

وقال تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا (١٢٥)﴾ [النساء :١٢٥] .

فإذا أطبق الشرك وجب علينا أن نكون حنفاء مائلين مجتنبين لذلك الشرك . يقول الله تعالى : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥)﴾ [البينة :٥] .

ويقول الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١)﴾ [الأنعام :١٦١] .

ويقول الله تعالى : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠)﴾ [الروم :٣٠] .

ويقول الله تعالى : ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١) ﴾ [الحج :٣١] .

المقدمة السادسة

الإسلام ما بين هلاله وبدره

إن الذي يستقرأ كتاب الله عزَّ وجلَّ يجد أن الإسلام يمر على مرحلتين . المرحلة الأولى : الظهور والقوة والنضوج والوضوح ، ويمر في مرحلة أخرى ما بين الضمور والتحريف والتغيير وكثرة الشرك والتلبيس . فكان عهد آدم ـ عليه السلام ـ بدراً للإسلام . وضوح التوحيد ، ولم يطرأ شرك . ففي صحيح البخاري عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال : «كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام» .

ثم في عهد نوح عليه السلام بعد عشرة قرون أطبق الشرك واندرس العلم ، وجاء التأويل بعبادة الصالحين زعماً أنها تقربهم إلى الله عزَّ وجلَّ . فأرسل الله نبيه نوحاً ـ عليه السلام ـ ومكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [العنكبوت :١٤] . ودعاهم بكل ما يملك من قوة ووسيلة : ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾﴾ [نوح :٥] . ومع هذا ما آمن معه إلا قليل : ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾ [هود :٤٠] .

وذكر ابن كثير ـ رحمه الله ـ في البداية والنهاية اختلاف العلماء في عدد من آمن معه ، فعن ابن عباس : أنهم كانوا ثمانين ، وعن كعب الأحبار : أنهم كانوا اثنين وسبعين ، وقيل عشرة ، وقيل سبعة .

فهذه إذاً حقبة زمنية مرَّ بها الإسلام بعكس ما كان في زمن آدم ـ عليه السلام ـ من

ظهور الإسلام . فأغرق الله عزَّ وجلَّ قوم نوح ، ومات جميع المشركين ، فما بقي إلا المسلمون ، فعاد الإسلام ظاهراً في الأرض ، لأن المشركين قد اندثروا ، ثم توالت الأجيال بعد ذلك ، بين ظهور وضمور للإسلام ، حتى جاء عهد إبراهيم ـ عليه السلام ـ فأطبق الكفر على جميع الأرض ، حتى قال إبراهيم ـ عليه السلام ـ لزوجه سارة : «يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك» رواه البخاري .

فعاد الكفر مرة أخرى حتى هاجر إبراهيم إلى موضعين من الأرض : جبال بيت المقدس ، حيث كانت سارة وابنها إسحاق ـ عليه السلام ـ ثم جاءت من بعده أمة عظيمة من بني يعقوب . أي بني إسرائيل ، وهجرته الثانية إلى مكة حيث إسماعيل ـ عليه السلام ـ ودعوة قومه إلى التوحيد ، فعاد ظهور الإسلام مرة أخرى في هاتين المنطقتين حتى تأثر الناس بالإسلام ، ودخلوا في دين الله ، واستمروا على ذلك حتى جاء عمرو بن لحي فذبح لغير الله ، فغيَّر معنى من معاني الألوهية ، فتغيَّر الدين . وأما في بيت المقدس فكان يعتريهم الظهور والضمور للإسلام بطبيعة بني إسرائيل بين قبول الإسلام وقبول الردة ، حتى جاء الرسول ﷺ فانبثق فجر الإسلام من جديد ، حتى اخترق الإسلام واكتسح في عهد عثمان قارتي آسيا وأفريقيا ، وأصبح الإسلام في أقوى مراحله ، وهكذا عاد الإسلام غريباً كما بدأ غريباً ، فلا يتعجب الإنسان المسلم من هذه السنة الكونية القدرية ، لأن الدين دين الله ، وما هذا التحوّل الذي يعلمه الله تعالى وشاءه وكتبه إلا من أجل الابتلاء .

فيجب على المسلم الفطن أن يعلم هذه الحقيقة ، فلا ييأس إن تخاذل الناس ، ولا يقنط إن رأى أن الكفر قد أطبق وظهر ، فالأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ قد عاشوا في هذه المراحل مثل إبراهيم ونوح وعيسى وغيرهم ، ولنا نحن فيهم أسوة حسنة في اتباعهم .

قال تعالى : ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا

بُرَآءُ منكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة :٤] .

فالنتائج إذاً ليست على المكلف ، وإنما على المكلف تحقيق التوحيد الخالص ، والدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ ، والصبر على ذلك .

قال تعالى : ﴿وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ② إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ③﴾ [العصر] .

المقدمة السابعة

أنواع المعبودات

كثير من الناس يظن أن الشرك بالله تعالى هو أن يتخذ الإنسان صنماً في بيته فيركع له ويسجد ، هكذا تعلم الناس في مدارسهم وتعلّقت أذهانهم بهذا التصوُّر . فإذا ما وجدنا رجلاً يطوف حول قبر ، أو يذبح لولي ، أو يتحاكم إلى الطاغوت . فهذا عند كثير من الناس ليس بشرك ، لأن هذه الصورة الواقعية لا تنطبق على الصورة الذهنية التي تعلمها . فتكون النتيجة بعد ذلك أن هذه الأعمال ليست بشرك ، وإنما الشرك هو أن يعكف الإنسان على صنم فيعبده ، ولهدم هذا التصوُّر الجاهلي يجب معرفة أنواع المعبودات التي تُعبد من دون الله عزَّ وجلَّ ، ومن هذه المعبودات : «الصنم والوثن ، والإله ، والرب» ، فهذه المعبودات الأربع إذا اجتمعت افترقت من أوجه وإذا افترقت اجتمعت ، فإذا افترقت فإنها تشترك كلها في العلّة بأنها عُبِدَت من دون الله ، وإذا اجتمعت افترقت في المعنى فيصبح كلٌّ له معنى .

فالصنم : هو كل ما عُبِدَ من دون الله من الجمادات المنحوتة على شكل إنسان أو حيوان أو نحو ذلك .

والوثن : هو كل ما عُبِدَ من دون الله من الجمادات سواء كانت المنحوتة أو الغير منحوتة ، كالشجر والحجر والقبر والدستور الوضعي ، وما شابه ذلك . ودليل ذلك قوله ﷺ : «اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» . رواه مالك في موطئه .

ويكون الصنم المنحوت وثناً لأنه داخل في جملة الجمادات المعبودة ، فكل صنم وثن وليس كل وثن صنماً ، لأن الوثن يشمل الصنم وغيره مما عُبِدَ من دون الله من الجمادات .

والإلـــه : هو كل من صُرِفَ له عبادة من العبادات الخاصة بألوهيةالله تعالى ، سواء كان إنساناً حياً أو جماداً منحوتاً أو غير منحوت . ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح :٢٣] . وقال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة :١١٦] .

فالحي إذا عُبد يُطلق عليه بأنه إله ، ولا يُطلق عليه بأنه صنم أووثن .

والرب : هو كل من صُرِفَ له فعلٌ من أفعال الله تعالى الخاصة بربوبيته ، ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة :٣١ .

والطاغوت : يشملهم جميعاً «الصنم ، والوثن ، والإله ، والرب» ويُستثنى من الإله والرب من عُبد من دون الله من الأنبياء ولم يرض بالعبادة .

وبمعرفة هذه المعبودات التي تُعبد من دون الله عزَّ وجلَّ ينكشف التلبيس أن الشرك لا يكون إلا بالسجود للأصنام ، أو ما شابه ذلك ، فمثلاً أعضاء مجلس البرلمان هم أرباب ، لأنهم أخذوا صفة التشريع المطلق التي هي لله سبحانه ، والقضاة الحاكمين بغير كتاب الله عزَّ وجلَّ هم طواغيت وآلهة تُعبد في الأرض ، لأنهم يحكمون الناس بأحكام الطواغيت ، فليس الشرك في الأصنام ، وإنما يكون أيضاً في هذه الصور ، وما أكثرها في هذا الزمان .

المقدمة الثامنة

مراتب الكفر

الكفر دركات كما أن للإيمان درجات . وأول مراتب الكفر وأشدها وأعتاها : أن يكون الإنسان نداً لله عزَّ وجلَّ وهو الطاغوت : والطاغوت هو الذي يصرف لنفسه شيء مما يختص به سبحانه .(١)

الثاني : وهو المشرك . وهو الذي يعبد الله عزَّ وجل ويعبد معه غيره .

الثالث : الكافر الذي كفره يكون بسبب رد الخبر الصحيح ، ويكون هذا الخبر معلوم من الدين بالضرورة .

الرابع : الكافر الذي كفره يكون بسبب ترك جنس العمل .

فإذا عرفنا هذه المراتب ، علمنا أن المرتبة الأولى والثانية لايتنزل عليها كلام أهل العلم في مسألة إعمال مانع من موانع التكفير وهو الجهل والتأويل . فنعلم أن كلام أهل العلم منصب على من أنكر شيئاً معلوم من الدين بالضرورة . إما بسبب رد الخبر الذي لم يصله ، أو تصحيح خبر ضعيف مضاد له ، أو بفهم سقيم للخبر فيأوّل الخبر تأويلاً خاطئاً . فننظر في حاله وما حوله . فإن كان مثله يجهله ، وقد انتشر الجهل في ذلك المكان وشحَّ العلم في هذه المسألة بذلك الموطن ، وأن الشائع المنتشر هو الفهم السقيم والتأويل الفاسد لذلك الخبر ، فمن مثل هذا الصنف يكون واقع في الكفر لرده الخبر الصحيح الصريح ، ولكن لا يحكم عليه بالكفر حتى يبين له . وكذا الحكم في الرابع .

أما إن كان العلم قد انتشر ، وأن مثله لا يجهله ، وقد زالت الشبهة ، فهذا يقع عليه

(١) وهذا ما سوف يأتي بيانه بالتفصيل في الرسالة الأولى .

الكفر عيناً ، وبهذا نفهم كلام أهل العلم في قولهم نكفِّر النوع ولا نكفِّر العين حتى تقوم الحجة ، أن كلامهم هذا يتنزل في مثل هذا الباب لا في الشرك والندية والطاغوتية .

وخلاصة الكلام هنا أن الذي يتخذ إلهاً مع الله عزَّ وجل ، ويصرف له ما يختص به سبحانه ، أن هذا ليس بمسلم ، وإن زعم أنه جاهل أو متأول فهذه قرينة دالة على أنه لم يحقق التوحيد ، لأن التوحيد يقين وليس بشك وجهل ، وشاهد الشهادتين لابد أن يكون عالماً بما شهد لا جاهلاً . والتأويل مبني على الجهل . فإذا كان لا عذر في الأول . فمن باب أوْلى أن لا يكون التأويل عذراً .

المقدمة التاسعة

الجهل بلا إله إلا الله

زيادة في الكفر

هل الجهل بكلمة لا إله إلا الله يُعد عذراً لصاحبه؟ ـ إن كان منتسباً للإسلام ـ ، أم هو زيادة في الكفر؟ . فمن الناس من يقول : إن الجهل بلا إله إلا الله هو عذر لمن فعل الشرك الأكبر فيمن يدَّعي الإسلام استناداً إلى بعض النصوص والأخبار . منها حديث ذات أنواط وحديث سجود معاذ ، وغير ذلك . مع أن هذه الأحاديث والنصوص إما صحيحة غير صريحة أو صريحة غير صحيحة ، والمقام لا يتسع للرد هنا ، إذ قد أفردنا ذلك في كتاب خاص وهو تحت الإعداد والطبع بمشيئة الله تعالى .(١)

وملخص ذلك وبيانه وتفصيله أن العذر بالجهل في الشرك الأكبر هذه المسألة على قسمين . قسمٌ لا يُعذر به صاحبه وقسمٌ يعذر به .

أما القسم الذي لا يعذر به صاحبه : فهو جهل الشهادة ، وهو أن يجهل الإنسان حقيقة ما شهد به من معنى لا إله إلا الله . فإن هذا ليس بمسلم ، لأنه قد اختل عنده أحد شروط هذه الشهادة وهو العلم بلا إله إلا الله .

قال تعالى : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ⑲﴾ [محمد :١٩] .

وقال تعالى : ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ⑱﴾ [آل عمران :١٨] .

---

(١) قد توسعنا في مناقشة هذه المسألة في الرسالة السادسة من سلسلة رسائل «ميراث الأنبياء» .

وقال تعالى : ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٨٦)﴾ [الزخرف :٨٦] .

يقول الإمام ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ في تفسيره عند هذه الآية : «وشهادته بالحق هو إقراره بتوحيد الله . يعني بذلك إلا من آمن الله وهم يعلمون حقيقة توحيده . . . ، وهم الذين يشهدون شهادة الحق فيوحدون الله ويخلصون له الوحدانية على علم منهم ويقين بذلك»أهـ .

ولأن الحجة قد قامت ببعثة الرسل ، وإنزال الكتب فلا عذر بعد ذلك لإنسان قد جهل الأصل الذي بُعث فيه هؤلاء الرسل بسبب إعراضه ، وعدم تعلمه لما قد خلق من أجله . . قال تعالى : ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥)﴾ [النساء :١٦٥] .

وقال تعالى : ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (١٩)﴾ [الأنعام :١٩] .

والذي يستقرأ نصوص القرآن الكريم في معنى الضلال يجد أن الضلال لا يقع الوصف به إلا على الجهال .(١)

ففي لسان العرب (معنى الضلال) قال ابن منظور : قال أبو عمرو : وأصل الضلال الغيبوبة ، يُقال : ضلَّ الماء في اللبن إذا غاب ، وضلَّ الكافر إذا غاب عن الحجة ، وضلَّ الناسي إذا غاب عنه حفظه ، وأضللت بعيري وغيره إذا ذهب منك .

وفي موضع آخر : قال ـ رحمه الله : وفي الحديث ضالة المؤمن . قال ابن الأثير : وهي الضائعة من كل ما يُقتنى من الحيوان وغيره ، الجوهري : الضالة ما

---

(١) سواء كان هذا الجهل جهل بسيط أو جهل مركب

ضل من البهائم للذكر والأنثى . يقال : ضل الشيء إذا ضاع ، وضل عن الطريق إذا جار .(١)

فالضلال إذاً لا يقع الوصف به إلا على الجهال. ولهذا كانت هذه صفة النصارى ، وقريش عندما أشركت بالله عزَّ وجلَّ بتأويل ظنوا أن ما عبدوه من الأوثان إنما يقربهم إلى الله عزَّ وجلَّ : ﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ③﴾ [الزمر :٣] .

فلهذا جاء وصف الله تعالى لهم ـ في نفس السورة ـ بالجهل . قال الله تعالى : ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ⑥④ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ⑥⑤﴾ [الزمر : ٦٤ ـ ٦٥] .

ومع هذا لم يعذرهم الله عزَّ وجلَّ ، وبسبب هذا الجهل يأتي التأويل الفاسد ، فإذا كان لا عذر بالجهل بالشرك الأكبر فعليه لا عذر بالتأويل في الشرك الأكبر ، لأن الثاني مترتب على الأول .

وأما القسم الذي يعذر به صاحبه فهو جهل الواقع وجهل الحال . مثال ذلك : أن يسجد أعمى لله عزَّ وجلَّ ويكون أمامه صنم أو وثن، وهو لا يعلم بوجوده أمامه، فهذا لا يكفر حتى يُعرَّف.

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٨/ ٨٠).

المقدمة العاشرة

الغلو والجفاء من الشيطان

إن الإسلام جاء من عند الله تعالى نقي واضح مكمل لم يكن فيه عوج ، قال تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴿١﴾﴾ [الكهف :١] .

وقال تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة :٣] .

فلا يجوز لنا أن نزيد معنى من معاني الدين لم يكن فيه ، وهذا ما يُسمى بالغلو والتنطع ، والغلو دائماً يأتي على الحريص ، وهو مدخل من مداخل الشيطان ، وفي مقابله الذي ينقص معنى من معاني الدين وعليه يبني أحكاماً ، وغالباً يأتي على المتساهل في الدين ، وهذا ما يُسمَّى بالتفريط ، فأصحاب البدع إن وجدهم الشيطان حريصين على مسألة ما دخل عليهم من باب الإفراط والغلو ، وزاد عليهم أشياء لم يأت بها نص ، أو استحسنوها في عقولهم ورتَّبوا عليها أحكاماً جائرة ، فهذه البدعة مردودة ، ولا يُسعف هؤلاء ويشفع لهم صلاح نيتهم أو حسن قصدهم في ذلك . فالخوارج غلوا في مسألة الإيمان والجهمية والمرجئة جفوا ، والمشبهة غلوا في معنى الأسماء والصفات ، والمعطلة جفوا ، والجبرية غلوا في مسألة القضاء والقدر ، والقدرية جفوا ، وأهل الحق هم الذين لا يتساهلون إن وُجد النص ولا يزيدون إن لم يوجد . فالغلو مذموم كما أن التساهل في الدين مذموم سواء بسواء ، ويجب على المسلم أن يسعه ما وسع القرون الثلاثة الخيِّرة من الرعيل الأول من الاعتقاد الصحيح السليم ، والفهم الثاقب لنصوص الشرع المطهَّر من الكتاب والسنة ، لا سيما أن النبي ﷺ قد امتدح هذه القرون الثلاثة . كما جاء في الحديث الصحيح ، فالذين يأصلون

أصولاً ليس عليها نصوص وبها يُكَفِّرون المسلمين فهذا غلو ما أنزل الله به من سلطان ، والذين يأخذون بالإجمال دون التفصيل في مسائل جاءت النصوص بتفصيلها فهذا غلو أيضاً . كما قالت الخوارج دون تفصيل : كل من أذنب فقد حكم بغير ما أنزل الله ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤)﴾ [المائدة :٤٤] . ولم يفرِّقوا بين المعصية والكفر واعتبروه كله حكماً بغير ما أنزل الله دونما تفصيل فكفَّروا بذلك أهل الإسلام بالمعاصي .

فليحذر المسلم من الغلو وليحذر من الجفاء .

المقدمة الحادية عشرة

صفات المسلم الموحد

الداعي إلى توحيد الله عزَّ وجلَّ

إن الذي يستقرأ كتاب الله عزَّ وجل يجد أن الله سبحانه قد وصف الأنبياء والصالحين بصفات عديدة حميدة طيبة من العبودية لله عزَّ وجلَّ ، والتعلق به سبحانه ، والإنابة إليه ، والخشوع والإخبات له جلَّ وعلا ، والتخلُّق بكل خُلق حسن كريم طيب ، وغير ذلك من هذه الأمور التي ينبغي على الداعية إلى الله الاتصاف بها والتحلي بها قال الله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً (٢١)﴾ [الأحزاب :٢١] .

فها هو نبي الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ يصفه الله عزَّ وجلَّ بأنه قانتاً لله حنيفاً وأنه حليم وأوَّاه ومنيب . قال تعالى : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٢١) وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٢)﴾ [النحل : ١٢٠ ـ ١٢١ ـ ١٢٢] .

وقال تعالى : ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (٧٤) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ (٧٥)﴾ [هود :٧٥] .

وقال تعالى عن إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب ـ عليهم السلام ـ ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (٧٣)﴾ [الأنبياء :٧٣] .

وقال الله تعالى : عن يوسف ـ عليه السلام ـ ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤)﴾ [يوسف :٢٤] .

وقال تعالى عن إسماعيل وإدريس وجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾﴾ [مريم :٥٤] .

وقال تعالى : ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنبياء :٨٥ـ ٨٦] .

وقال تعالى عن أيوب ـ عليه السلام : ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص :٤٤] .

وقال الله تعالى عن يونس ـ عليه السلام : ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصافات : ١٤٢ـ ١٤٣ـ ١٤٤] .

وقال الله تعالى عن موسى ـ عليه السلام : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ﴿٥١﴾﴾ [مريم :٥١] .

وقال الله تعالى عن داود وسليمان ـ عليهما الصلاة والسلام ـ ﴿ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾ [ص :١٧] .

وقال تعالى : ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [ص :٣٠] .

وقال الله تعالى عن زكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام : ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء :٨٩ـ ٩٠] .

وقال تعالى : ﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ ﴾ [مريم :١٢] .

وقال الله تعالى عن نبينا محمد ﷺ : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح :٢٩] .

وقال تعالى في صفات عباد الرحمن : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان :٦٣ ـ ٦٤] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران : ١٩٠ ـ ١٩١] .

إلى غير ذلك من الآيات التي تصف الأنبياء والصالحين بصفات العبودية المحضة الخالصة لله عزَّ وجل .

ينبغي على العصبة المسلمة الموحدة أن تلتفت إلى هذه القضية الجوهرية ، وأن تتصف بهذه الصفات ، وأن تتخلّق بالأخلاق الحميدة الكريمة .

إن الذي يعرف سيرة الأنبياء والحواريين الذين كانوا معهم ، وصفة الصحابة الذين كانوا مع رسول الله ﷺ يعلم علم اليقين أن التوحيد ليس هو نظرية ذهنية ،

وإنما كلمة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها . قال تعـالى : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم :٢٤] .

يقول الإمام ابن قيم ـ رحمه الله ـ عند هذه الآية :

«شبه سبحانه الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة . لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح ، والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع . وهذا ظاهر على قول جمهور المفسرين الذين يقولون : الكلمة الطيبة : هي شهادة أن لا إله إلا الله . فإنها تثمر جميع الأعمال الصالحة ، الظاهرة والباطنة . فكل عمل صالح مرضى لله فهو ثمرة هذه الكلمة .

وفي تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : كلمة طيبة : شهادة أن لا إله إلا الله . كشجرة طيبة ، : وهو المؤمن .(أصلها ثابت) قول : لا إله إلا الله في قلب المؤمن (وفرعها في السماء) يقول : يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء .

وقال الربيع بن أنس : كلمة طيبة هذا مثل الإيمان . فإن الإيمان الشجرة الطيبة ، وأصلها الثابت الذي لا يزول : والإخلاص فيه . وفرعها في السماء : خشية الله والتشبيه على هذا القول أصح وأظهر وأحسن . فإنه سبحانه شبه شجرة التوحيد في القلب بالشجرة الطيبة الثابتةالأصل ، الباسقة الفرع في السماء علواً ، التي لا تزال تؤتي ثمرتها كل حين .

وإذاتأملت هذا التشبيه رأيته مطابقاً لشجرة التوحيد الثابتة الراسخة في القلب التي فروعها من الأعمال الصالحة صاعدة إلى السماء ، ولا تزال هذه الشجرة تثمر

الأعمال الصالحة كل وقت بحسب ثباتها في القلب ، ومحبة القلب لها ، وإخلاصه فيها ، ومعرفته بحقيقتها ، وقيامه بحقوقها ، ومراعاتها حق رعايتها . فمن رسخت هذه الكلمة في قلبه بحقيقتها التي هي حقيقتها ، واتصف قلبه بها ، وانصبغ بها بصبغة الله التي لا أحسن صبغة منها ، فعرف حقيقة إلهيته التي يثبتها قلبه لله ، ويشهد بها لسانه ، وتصدقها جوارحه ، ونفى تلك الحقيقة ولوازمها عن كل ما سوى الله وواطأ قلبه لسانه في هذا النفي والإثبات ، وانقادت جوارحه لمن شهد له بالوحدانية طائعة سالكة سُبُل ربه ذُلُلاً غير ناكبة عنها ولا باغية سواها بدلاً . كما لا يبتغي القلب سوى معبوده الحق بدلاً . فلا ريب أن هذه الكلمة من هذا القلب على هذا اللسان لا تزال تؤتي ثمرتها من العمل الصالح الصاعد إلى الله كل وقت . فهذه الكلمة الطيبةهي التي رفعت هذا العمل الصالح إلى الرب تعالى .

وهذه الكلمة الطيبة تثمر كلماً كثيراً طيباً ، يقارنه عمل صالح ، فيرفع العمل الصالح الكلم الطيب ، كما قال تعالى : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر :١٠] ، فأخبر سبحانه ، أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب ، وأخبر أن الكلمة الطيبة تثمر لقائلهاعملاً صالحاً كل وقت .

والمقصود : أن كلمة التوحيد إذا شهد بها المؤمن عارفاً بمعناها وحقيقتها نفياً وإثباتاً ، ومتصفاً بموجبها ، قائماً قلبه ولسانه وجوارحه بشهادته . فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل من هذا الشاهد أصلها ثابت راسخ في قلبه . وفروعها متصلة بالسماء . وهي مخرجة ثمرتها كل وقت»أهـ .(١)

فالحذر الحذر من تلبيس إبليس على البعض ممن تعلم التوحيد واجتنب الشرك بأن ينتهك ما حرَّم الله ، ويتساهل في تربيةنفسه التربية الإيمانية الصحيحة من التعلق

---

(١) التفسير القيم للإمام ابن قيم ص ٣٢٧ ، جمع محمد الندوي .

بالله سبحانه بدعوى أنه قد فهم التوحيد واجتنب الشرك . فإن التوحيد له ثمار ، وإن المعاصي تؤثر على توحيد المسلم وإيمانه ودينه ، فليتفطن المسلم لهذا ، وليحذر كل الحذر .

ميراث الأنبياء

الرسالة الأولى

الطبعة الثانية

مزيدة ومصحَّحة

قال تعالى

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد :

اعلم أخي المسلم - رحمك الله - أن التوحيد هو حق الله تعالى على العبيد وهي الغاية التي من أجلها خلقهم . قال الله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات : ٥٦] .

قال أهل العلم : أي ليوحدوني وآمرهم وأنهاهم .

فالتوحيد هو أعدل العدل فمن وحَّد الله عزوجل فقد وضع الشيء في موضعه وأعطى العبادة لمن يستحقها . قال تعالى : ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١٨﴾ [آل عمران : ١٨] .

والتوحيد : هو أن يُوحد العبد ربه بأفعاله الربوبية وبأسمائه وصفاته وفي العبادة

والشرك : هو أظلم الظلم فمن أشرك بالله فقد وضع الشيء في غير موضعه وفي غير نصابه وأعطى العبادة إلى من لايستحقها وافترى إثماً عظيماً . قال الله تعالى حاكياً عن لقمان موصياً ابنه : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝١٣﴾ [لقمان :١٣] .

يقول الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله :

(المسألة الثانية - ما ذكر الله تبارك وتعالى من عظمته وجلاله أنه يوم القيامة يفعل هذا ، وهذا قدر ما تحتمله العقول ، وإلا فعظمة الله وجلاله أجل من أن يحيط بها عقل ، كما قال : « ما السموات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في كف أحدكم » فمن هذا بعض عظمته وجلاله كيف يجعل في رتبته

مخلوق لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً . هذا هو أظلم الظلم وأقبح الجهل ، كما قال العبد الصالح لابنه ﴿يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾) أهـ .[1]

والشرك : هو أن يجعل العبد شريكاً مع الله في أفعاله الربوبية أو في أسمائه وصفاته أو في العبادة .

وكما أن التوحيد مقرون بالعلم لقوله تعالى : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد : ١٩] .

فكذلك الشرك مقرون بالجهل . لقوله تعالى : ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الزمر : ٦٤] .

فلذلك يجب عليك أخي المسلم أن تعلم ما هو التوحيد الذي أوجبه الله عليك بشروطه وأركانه ونواقضه وتعمل بمقتضى هذا العلم الذي يحفظ لك توحيدك لربك .

يقول الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله :

« اعلم رحمك الله أن فرض معرفة شهادة أن لا إله إلا الله قبل فرض الصلاة والصوم ، فيجب على العبد أن يبحث عن معنى ذلك أعظم من وجوب بحثه عن الصلاة والصوم ، وحرم الشرك والإيمان بالطاغوت أعظم من تحريم نكاح الأمهات والعمّات ، فأعظم مراتب الإيمان بالله شهادة أن لا إله إلا الله ، ومعنى ذلك : أن يشهد العبد أن الإلهية كلها لله ليس منها شيء لنبي ولا لملك ولا لولي ، بل هي حق الله على عباده . . . ، ومعنى الكفر بالطاغوت : أن تبرأ من كل ما يعتقد فيه غير الله من جني أو إنسي أو شجر أو حجر أو غير ذلك ، وتشهد عليه بالكفر والضلال

---

(١) تاريخ نجد ـ لحسين بن غنام ـ ص ٥٨٣ طبعة دار الشروق .

وتبغضه ، ولو كان أباك أو أخاك ، فأما من قال : أنا لا أعبد إلا الله وأنا لا أتعرض للسادة والقباب على القبور وأمثال ذلك . فهذا كاذب في قول لا إله إلا الله ، ولم يؤمن بالله ولم يكفر بالطاغوت ، وهذا كلام يسير يحتاج إلى بحث طويل ، واجتهاد في معرفة دين الإسلام ومعرفة ما أرسل الله به رسوله ﷺ ، والبحث عما قاله العلماء في قوله : ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة : ٢٥٦] . ويجتهد في تعلم ما علَّمه الله ورسوله ﷺ ، وما علَّمه الرسول ﷺ أمته من التوحيد ، ومن أعرض عن هذا فطبع الله على قلبه وآثر الدنيا على الدين لم يعذره الله بالجهالة ، والله أعلم) . أهـ (١) .

---

(١) نقلاً عن كتاب « مجموعة الفتاوى والرسائل والأجوبة ـ خمسون رسالة في التوحيد ـ للإمام محمد بن عبد الوهاب ـ ص ١٣٥ » إعداد : عبد الله حجاج ـ طبعة مكتبة التراث الإسلامي .

أولاً : شـــروط التــوحيــد
وهي شـروط لا إله إلا اللّه

والشـــــرط : هو مايلزم من عدمه العدم ، ولا يلزم من وجوده الوجود ، ويكون في خارج الشيء وقبل البدء فيه .

فيجب أن تعلم أخي المسلم أن شروط التوحيد ذات أهمية عظيمة يجب على كل مسلم تَـعَـلُّمها والإتيان بها ، وهذا لأن انتفاء شرط من شروط التوحيد يعني انتفاء أصل الإيمان والإسلام . كالصلاة إن انتفى أحد شروط صحتها كاستقبال القبلة أو ستر العورة أو غير ذلك من شروط صحة الصلاة فإنها تبطل ، وأما شروط التوحيد فهي سبعة :-

(الشرط الأول) : العلم . قال الله تعالى : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [محمد :١٩] .

وهذا لأن الجهل بأن الله وحده هو المستحق للعبادة مانع في قبول إسلام العبد ، ولذلك جعل العلم هنا شرطاً في قبول إسلام العبد .

قال عليه الصلاة والسلام : «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دَخَلَ الجنة » رواه مسلم .

يقول العلامة الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله تعالى :

(وقد ذكر العلماء - رحمهم الله - من أهل السنة والجماعة ، في معنى : لا إله إلا الله ، وبيان ما نفته ، وما أثبتته ، مايفيد : العلم اليقيني بمعناها ، الذي أوجب الله تعالى معرفته ، وماتضمَّنته من النفي والإثبات .

قال الوزير : أبو المظفر ، في الإفصاح ، قوله : شهادة أن لا إله إلا الله ، يقتضي : أن يكون الشاهد ، عالماً بأنه لا إله إلا الله ، كما قال تعالى : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ قال : واسم الله مرتفع بعد : (إلا) من حيث : أنه الواجب له الإلهية ، فلا يستحقها غيره سبحانه ، قال : وجملة الفائدة في ذلك ، أن تعلم : أن هذه الكلمة ، مشتملة على الكفر بالطاغوت ، والإيمان بالله ، فإنك لما نفيت الإلهية ، وأثبت الإيجاب لله تعالى ، كنت ممن كفر بالطاغوت ، وآمن بالله) أهـ .(١)

ويقول الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين رحمه الله :

(وقال تعالى : ﴿هَذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم : ٥٢] . لم يقل : ليقولوا إنما هو إله واحد : وقال تعالى : ﴿ إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف : ٨٦] . بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم ، وقال ﷺ : « من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة » .

واستدل العلماء بهذه الآية ونحوها ، على أن أول واجب على الإنسان : معرفة الله ، ودلت هذه الآية ، على أن آكد الفرائض : العلم بمعنى لا إله إلا الله ، وأن أعظم الجهل : نقص العلم بمعناها ، إذ كان معرفة معناها آكد الواجبات ، والجهل بذلك أعظم الجهل وأقبحه .

ومن العجب : أن بعض الناس إذا سمع من تكلم في معنى لا إله إلا الله نفياً وإثباتاً ، عاب ذلك ، وقال : لسنا مكلفين بالناس والقول فيهم

فيقال له : بل أنت مكلّف بمعرفة التوحيد ، الذي خلق الله الجن والإنس لأجله ، وأرسل جميع الرسل يدعون إليه ، ومعرفة ضده وهو الشرك الذي لا يغفره

(١) الدرر السنية (٢/ ٢١٦) .

الله ، ولا عذر لمكلّف في الجهل بذلك ، ولا يجوز فيه التقليد ، لأنه أصل الأصول ، فمن لم يعرف المعروف ، وينكر المنكر فهو هالك ، لا سيما أعظم المعروف ، وهو التوحيد ، وأكبر المنكر وهو الشرك) أهـ .(١)

ويقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله :

(قال رحمه الله (أي الشيخ محمد بن عبد الوهاب) : ومجرد الاتيان بلفظ الشهادة ، من غير علم بمعناها ، ولا عمل بمقتضاها ، لا يكون به المكلف مسلماً ، بل هو حجة على ابن آدم ، خلافاً لمن زعم : أن الإيمان مجرد الإقرار ، كالكرامية ، ومجرد التصديق كالجهمية .

وقد أكذب الله المنافقين فيما أتوا به وزعموه من الشهادة على كذبهم ، مع أنهم أتوا بألفاظ مؤكدة بأنواع من التأكيدات ، قال تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ۝١ ﴾ [المنافقون : ١] .

فأكدوا بلفظ الشهادة و (إنّ) المؤكدة ، واللام والجملة الإسمية ، فأكذبهم ، وأكد تكذيبهم بمثل ما أكدوا به شهادتهم سواء بسواء ، وزاد التصريح باللقب الشنيع ، والعلم البشع الفظيع ، وبهذا تعلم : أن مسمى الإيمان ، لابدّ فيه من الصدق والعمل .

ومن شهد أن لا إله إلا الله وعبد غيره ، فلا شهادة له ، وإن صلى وزكى وصام ، وأتى بشيء من أعمال الإسلام ، قال تعالى لمن آمن ببعض الكتاب ، ورد بعضاً : ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة : ٨٥] أهـ .(٢)

---

(١) الدرر السنية (١٢/ ٥٨) .

(٢) الدرر السنية (١٢/ ٥٣٥) .

(الشرط الثاني) اليقين : وهو أنه بعد أن عَلمَ التوحيد وعَلمَ معنى لا إله إلا الله فلابد عليه أن يتيقنها ويتيقن ما دلت عليه من إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادة فلا يكون شاكاً بمدلولها ولا متردداً . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات : ١٥] .

وفي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم أن النبي ﷺ قال : « أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة » .

(الشرط الثالث) القبول : وهو أنه بعد أن عَلمَ التوحيد وعَلمَ معنى لا إله إلا الله وتيقنها فلابد عليه أن يقبلها ولا يردها بأي شيء من العبادة . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الصافات : ٣٦] .

(الشرط الرابع) الإنقياد : وهو أنه بعد أن عَلمَ التوحيد ومعنى لا إله إلا الله وتيقنها وقبلها . فلابد عليه أن ينقاد إليها ، وهذا حيث أنه يكفر بكل طاغوت ويتبرأ منه ويؤمن بالله وحده ويتجرد له . قال الله تعالى : ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء : ٦٥] .

والفرق بين الشرط الثالث والشرط الرابع أن الشرط الثالث وهو (القبول) يكون في الأقوال ، وأما الشرط الرابع وهو (الإنقياد) فإنه يكون في الأفعال .

يقول العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله :

(وليس الإسلام بمجرد الدعوى ، والتلفظ بالقول ، وإنما معناه : الإنقياد لله بالتوحيد ، والخضوع ، والإذعان له بالربوبية ، والإلهية ، دون كل ما سواه ، كما

قال تعالى : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ [البقرة :٢٥٦] . . . وقال : ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يوسف : ٤٠]) أهـ .(١)

(الشرط الخامس) الصدق : وهو أنه بعد أن عَلِمَ التوحيد ومعنى لا إله إلا الله وتيقنها وقبلها وانقاد إليها . فلابد عليه أن يكون صادقاً فيها . ففي الصحيحين أن النبيﷺ قال : « ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من قال لا إله إلا الله صادقاً من قلبه دخل الجنة» رواه أحمد . وأما من قالها بلسانه وأنكر مادلت عليه هذه الكلمة بقلبه فإنها لاتنجيه كما حكى الله عن المنافقين أنهم قالوا : ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ ، فقال تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾ [المنافقون :١] . وكذلك كَذَّبهم الله تعالى بقوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [البقرة :٨] .

(الشرط السادس) الإخلاص : وهو أنه بعد أن عَلِمَ التوحيد ومعنى لا إله إلا الله وتيقنها وقبلها وانقاد إليها وكان صادقاً فيها . فلابد عليه أن يكون مُخلصاً في ذلك ، فالإخلاص هو أن تكون العبادة لله وحده دون أن يَصرف منها العبد شيئاً لغيره . قال الله تعالى :﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة : ٥] .

وكذلك من الإخلاص أن لا يقولها ويلتزمها مداراة لأحد . قال عليه الصلاة والسلام : « . . . فإن الله حَرَّم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله » رواه البخاري ومسلم .

---

(١) الدرر السنية ـ كتاب التوحيد (٢/ ٢٦٤) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً مُخلصاًمن قلبه » رواه البخاري .

(الشرط السابع) المحبة : وهو أنه بعد أن عَلِمَ التوحيد ومعنى لا إله إلا الله وتيقنها وقبلها وانقاد إليها وكان صادقاً فيها ومخلصاً فيها لله عزوجل ، فلابد عليه أن يحب هذه الكلمة فيحبها بقلبه ويظهر المحبة على لسانه . قال الله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ [البقرة : ١٦٥] .

يقول العلامة الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله :

(وأذكر قبل الشروع في الكلام على هذه المسائل ، والجواب عنها ، معنى لا إله إلا الله ، وما ذكره العلماء في ذلك ، وما ذكره شيخنا : الشيخ عبد الرحمن بن حسن ، مفتي الديار النجدية ، رحمه الله تعالى ، من شروطها ، التي لا يصح إسلام أحد من الناس ، إلا إذا اجتمعت له هذه الشروط ، وقال بها ، علماً ، وعملاً ، واعتقاداً ، وكذلك : نواقض الإسلام العشرة ، التي ذكرها شيخ الإسلام : محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ، لأن هذا هو الأصل ، الذي تتفرع عليه هذه المسائل وتنبني عليها أحكامها) أهـ .(١)

ويقول العلامة الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله :

(وسرّنا ما ذكرت ، من معرفتك جهل أكثر الناس ، بمعنى : لا إله إلا الله ، وإن تكلموا بها لفظاً ، فقد أنكروها معنى ، فانتبه لأمور ستة ، أو سبعة ، لا يسلم العبد من الكفر ، والنفاق ، إلا باجتماعها : وباجتماعها ، والعمل بمقتضاها ، يكون العبد مسلماً ؛ إذ لابد من مطابقة القلب للسان ، علماً ، وعملاً ، واعتقاداً ، وقبولاً ، ومحبةً ، وانقياداً .

---

(١) الدرر السنية ـ كتاب التوحيد (٢/ ٣٤٩) .

فلابدّ من العلم بها المنافي للجهل ، ولابد من الإخلاص المنافي للشرك ؛ ولابد من الصدق المنافي للكذب ، بخلاف المشركين والمنافقين ، ولابد من اليقين المنافي للشك والريب فقد يقولها وهو شاك في مدلولها ومقتضاها ، ولابد من المحبة المنافية للكراهة ، ولابد من القبول المنافي للرد ، فقد يعرف معناها ولايقبله ، كحال مشركي العرب .

ولابدّ أيضاً من الانقياد المنافي للشرك لترك مقتضياتها ولوازمها وحقوقها ، المصححة للإسلام والإيمان ، فمن تحقق ما ذكرته ووقع منه موقعاً ، صرف الهمة إلى تعلم معنى : لا إله إلا الله وصار على بصيرة من دينه وفرقان وهدى واستقامة وبالله التوفيق) أهـ .[1]

---

(١) الدرر السنية ـ كتاب التوحيد (٢/ ٢٥٥) .

ثانياً: أركـــان التــوحيــد
وهي أركان لا إله إلا الله

والركن: هو ما يلزم من عدمه العدم، ولا يلزم من وجوده الوجود. ويكون في داخل الشيء.

والفـرق بين الركن والشـرط: أن الركن يكون بداخل الشيء ومتوقف عليه صحته، فلا يصح الشيء إلا به.

أما الشرط فإنه يكون خارج الشيء ومتوقفاً عليه قبوله، فلا يُقبل الشيء إلا به.

فإذاعلمت ياأخي أيضاً ما هو الركن، فاعلم أن التوحيد الذي أوجبه الله عليك له أركان كما أن للصلاة أركاناً لا تصح الصلاة إلا بالإتيان بها كتكبيرة الإحرام والسجود والركوع والتشهد الأخير وغير ذلك من أركان الصلاة التي إذا أخل العبد بأي ركن منها بطلت صلاته، فكذلك التوحيد له أركان إذا أخَل العبد بأحد هذه الأركان لم يكن مُوَحداً ولن تنفعه لا إله إلا الله شيئاً. وأما أركان التوحيد فهما ركنان :-

الركن الأول: الكفر بالطاغوت.

وأما الركن الثاني: فهو الإيمان بالله وحده.

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. والعروة الوثقى: هي كلمة لا إله إلا الله. وهي كلمة التوحيد.

وفي صحيح مسلم. أن النبي ﷺ قال: « من قال لا إله إلا الله وكَفَرَ بما يُعْبَدُ من دون الله فقد حَرُم ماله ودمه وحسابه على الله عزَّ وجل ».

الركن الأول : الكفر بالطاغوت

واعلم . . . أخي ـ هداك الله إلى طريق الرشاد ـ أن العبد لا يكون مُوَحِّداً حتى يكفر بالطاغوت ، ولن يكفر بالطاغوت حتى يعلم ما هو الطاغوت .

أمَّا تعريف الطاغوت في اللغة : فهو مشتق من الطغيان وهو مجاوزة الحد . قال الله تعالى : ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ⑪﴾ [الحاقة : ١١] . أي لمّا زاد الماء وتجاوز حده المعتاد .

وأما تعريفه في الشرع . فالطاغوت : هو كل من طغى وتجاوز حده وأخذ حقاً من حقوق الله تعالى ونسبه لنفسه . وجعل نفسه نداً لله في ما يختص به سبحانه .

وحتى يتضح المعنى فبيان معنى الطاغوت . هو أن يصرف مخلوق لنفسه إحدى هذه الأمور الثلاث :ـ

١ ـ أن يصرف مخلوق لنفسه فعلاً من أفعال الله عزوجل . كالخلق أو الرزق ، أو التشريع . . . إلخ فإن فَعَلَ ذلك فهو طاغوت .

٢ ـ أن يصرف مخلوق لنفسه صفة من صفات الله عز وجل كعلم الغيب . فإن فَعَلَ ذلك فهو طاغوت .

٣ ـ أن يُصرف لمخلوق عبادة من العبادات . كالدعاء ، أو النذر ، أو ذبح القربان أو التحاكم . . . إلخ فإن أقَرَّ ذلك فهو طاغوت ، وقد يكون سكوته وعدم الإنكار إقرار إن لم يتبرأ ويترك .

فهذه الأمور الثلاث التي ذكرناها من صَرَف منها شيئاً لنفسه فهو طاغوت ونِدٌّ لله تعالى .

وقد عَرَّفَ الإمام مالك ـ رحمه الله ـ الطاغوت بقوله : (والطاغوت هو كل ماعُبدَ من دون الله عزوجل)أهـ [١] .

وهذا تعريفٌ عام جيد يدخل فيه جميع ماعُبدَ من دون الله . ومن هذه المعبودات التي تعتبر طواغيت . (الأصنام) ومنها (الأوثان من قبور و أحجار وأشجار وغيرها من الجمادات المعبودة) ومنها (الأحكام التي يُتحاكم إليها من دون حكم الله تعالى) ومنها (القضاة الذين يحكمون بين الناس بهذه الأحكام المخالفة لحكم الله) ومنها (الشيطان) ومنها (السحرة) ومنها (الكهنة الذين يتكلمون بعلم الغيب) ومنها (الذين عُبدوا ورضوا بالعبادة) ومنها (الذين نَصّبُوا أنفسهم مُحَللين وَمُحَرمين وَمُشَرعين) . فهؤلاء كلهم طواغيت يجب الكفر بهم والبراءة منهم وممن عبدوهم .

يقول الإمام العلامة عبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين ـ رحمه الله :

(فتحصل من مجموع كلامهم ـ رحمهم الله ـ أن اسم الطاغوت يشمل كل معبود من دون الله ، وكل رأس في الضلال يدعو إلى الباطل ويحسنه ، ويشمل أيضاً كل من نصَّبه الناس للحكم بينهم بأحكام الجاهلية المضادة لحكم الله ورسوله ، ويشمل أيضاً الكاهن والساحر ، وسدنة الأوثان إلى عبادة المقبورين وغيرهم)أ .هـ [٢] .

---

(١) انظر تفسيرابن كثير ، «سورة النساء آية ٥١» ، «سورة البقرة آية :٢٥٦» .

(٢) مجموعة التوحيد (١/ ١٧٣) طبعة مكتبة المؤيد .

رؤوس الطواغيت

يقول الإمام محمد بن عبدالوهاب عليه رحمة الله : (الطواغيت كثيرة ورؤوسهم خمسة :

(الأول) الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله تعالى . والدليل قوله تعالى : ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾ [يس : ٦٠] .

(الثاني) الحاكم الجائر المغيّر لأحكام الله تعالى : والدليل قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء : ٦٠] .

(الثالث) الذي يحكم بغير ما أنزل الله . قال الله تعالى : ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة : ٤٤] .

ومقصود الشيخ هنا هو القاضي الذي يحكم بشريعة ذلك المغيّر لأحكام الله .

(الرابع) الذي يدّعي علم الغيب من دون الله تعالى . قال الله تعالى : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [الجن : ٢٦] .

(الخامس) الذي يُعْبَد من دون الله وهو راض بالعبادة . والدليل قوله تعالى : ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء : ٢٩] أهـ .[1]

ويقول أيضاً رحمه الله تعالى عند قوله تعالى : ﴿ ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ (اعلم ـ رحمك الله ـ أنه لا يعرف هذه الآية المعرفة التي تنفعه إلا من يميّز بين توحيد

---

(١) مجموعة التوحيد : الرسالة الأولى (١/ ١٥ طبعة مكتبة المؤيد) .

الربوبية وبين توحيد الألوهية تمييزاً تاماً ، وأيضاً يعرف ما عليه غالب الناس :إما طواغيت ينازعون الله في توحيد الربوبية الذي لم يصل شرك المشركين إليه ، وإمّا مصدّق لهم تابع لهم ، وإما رجل شاك لا يدري ما أنزل الله على رسوله ولا يميّز بين دين الرسول ﷺ ودين النصارى) أهـ . (١)

(١) تاريخ نجد ـ لحسين بن غنـــام ص (٥٠٦ طبعة دار الشروق) .

كيف تكفر بالطاغوت

واعلم أخي ـ نوَّر الله قلبك ـ أن صفة الكفر بالطاغوت يلزم منها خمسة أمور :

(أولاً) الإعتقاد ببطلان عبادة الطاغوت قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٦٢) ﴾ [الحج : ٦٢] .

(ثانياً) : الترك والإجتناب : وهو ترك عبادة الطاغوت ، قال الله تعالى : **﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾** [النحل : ٣٦] وقال تعالى : **﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠) ﴾** [الحج : ٣٠] .

واعلم أخي ـ هداك الله ـ أن من عبادة الطاغوت والأوثان التحاكم إليها والاستنصار بها والنذر لها . يقول الحافظ ابن كثير رحمة الله عليه في تفسيره : (الطاغوت الشيطان ، فإنه يشمل كل شر كان عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان والتحاكم إليها ، والاستنصار بها) أهـ (تفسير آية ٢٥٦ من سورة البقرة) .

وينبغي أن تعلم يا أخي المسلم أن الترك هنا على ثلاثة أقسام :

القسم الأول : الترك بالإعتقاد . **القسم الثاني** : الترك بالقول . **القسم الثالث** : الترك بالفعل . ولا يكون العبد مجتنباً للطاغوت وتاركه حتى يأتي بهذه الأقسام الثلاثة من الترك :

ـ لأن من الناس من يترك بقوله وفعله ولا يترك باعتقاده . وهذا هو حال المنافقين .

ـ ومن الناس من يترك باعتقاده ولا يترك بقوله . وهذا حال من يقسم على احترام الأصنام والأوثان والطواغيت .

- ومن الناس من يترك باعتقاده ولا يترك بفعله . وهذا حال من يسجد للطاغوت أو ينذر له أو يذهب ويتحاكم إليه ويدعي أن اعتقاده سليم .

فلا يكون العبد - إذاً - مجتنباً للطاغوت حتى يأتي بهذه الأقسام الثلاثة من الترك .

يقول العلامة الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ في كتابه (تيسير العزيز الحميد ص٤١٩) باب قوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون . . . ﴾ الآية . يقول : «وفي الآية دليل على أن ترك التحاكم إلى الطاغوت الذي هو ما سوى الكتاب والسنة من الفرائض ، وأن المتحاكم إليه غير مؤمن بل ولا مسلم» أهـ .

وهنا أمر يجب التنبيه عليه ، وهو أن الله تعالى عندما أمرنا أن نكفر بالطاغوت ونجتنبه أمرنا أن نجتنبه من وجه طاغوتيته ، فلا نصرف له حق الله تعالى الذي لا يكون إلا له .

- فإذا كان هذا الطاغوت ممن يُستغاث به فلا يستغاث به .

- وإذا كان هذا الطاغوت ممن يُذبح له ويُقَرّب له القرابين . فلا يُذبح له .

- وإذا كان هذا الطاغوت ممن يتُحاكم إليه فلا يتُحاكم إليه .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله « ولهذا سُمِّيَ من تُحوكم إليه من حاكم بغير كتاب الله طاغوتاً » .(١)

ويقول شيخ الإسلام ابن قيم « فطاغوت كل قومٍ من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله » .(٢)

(ثالثاً) العداوة : قال الله تعالى حاكياً عن ابراهيم عليه السلام في قوله لقومه ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧)﴾ [الشعراء : ٧٧] .

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٠١) . (٢) اعلام الموقعين (١/ ٤٠) .

(رابعاً) البغض : قال الله تعالى : ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة : ٤] .

(خامساً) تكفيره : أي تكفير الطاغوت ، والكفر به قال تعالى : ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة :٢٥٦] .

يقول الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمة الله عليه:

(اعلم رحمك الله تعالى أن أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت ، والإيمان بالله ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل : ٣٦] . أما صفة الكفر بالطاغوت ، أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها وتبغضها وتُكَفِّر أهلها وتعاديهم) أهـ .

ويقول أيضاً « واعلم أن الإنسان ما يصير مؤمناً إلا بالكفر بالطاغوت . والدليل قوله تعالى : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] أهـ . (١)

ويقول أيضاً رحمة الله عليه : « فالله الله يا اخواني ، تمسكوا بأصل دينكم ، وأوله وآخره ، وأسه ورأسه ، شهادة أن لا إله إلا الله ، واعرفوا معناها وأحبوها ، وأحبوا أهلها ، واجعلوهم إخوانكم ، ولو كانوا بعيدين ، واكفروا بالطواغيت وعادوهم ، وأبغضوهم وأبغضوا من أحبهم أو جادل عنهم أو لم يكفرهم ، أو قال : ما عليَّ منهم ، أو قال : ما كلفني الله بهم ، فقد كذب هذا على الله وافترى ، فقد كلفه الله بهم ، وافترض عليه الكفر بهم ، والبراءة منهم ولو كانوا إخوانهم وأولادهم .

---

(١) مجموعة التوحيد ـ الرسالة الأولى (ص ١٤ـ١٥) طبعة مكتبة المؤيد .

فالله الله ، تمسكوا بذلك لعلكم تلقون ربكم ، لا تشركون به شيئاً ، اللهم توفنا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين) أهـ . (١)

(١) (مجموعة التوحيد ـ الرسالة الخامسة ١/ ١٤١) .

الركن الثاني : الإيمان بالله وحده

وأمَّا الركن الثاني من أركان التوحيد فهو الإيمان بالله وحده .

والإيمـان بالله : هو أن تؤمن بالله عز وجل وتفرده بجميع أفعاله الربوبية وأسماءه وصفاته وتفرده بجميع أنواع العبادة التي لا تكون إلا له . والإيمان بالله تعالى على ثلاثة أقسام :

القـســم الأول : الإيمان بربوبية الله : وهو أن تؤمن بأفعال الله تعالى الخاصة بربوبيته . كالخلق والرزق والتشريع وغيرها من أفعال الله وتُوَحده وتُفرده بها دون أن تصرف منها شيئاً لغيره قال تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٠)﴾ [الروم : ٤٠] .

القسم الثاني : الإيمان بأسماء الله وصفاته : وهو أن تؤمن بما أثبته الله تعالى لنفسه من الأسماء والصفات وما أثبته له رسوله ﷺ من غير تكييف ولا تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل . قال تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١)﴾ [الشورى : ١١] .

ثم تُوحّده وتفرده بأسمائه وصفاته التي لا تكون إلا له سبحانه . قال تعالى : ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ...﴾ [النمل : ٦٥] .

القسم الثالث : الإيمان بألوهية الله : وهو أن تؤمن بأن الله هو الإله المعبود وحده وأن جميع العبادات من دعاء وركوع وسجود ونذر وغيرها من العبادات هي حقّ محض له سبحانه ، وتُوحده وتفرده بها دون أن تصرّف منها شيئاً لغيره قال تعالى : ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ...﴾ [النساء : ٣٦] .

كيف يكون العبد مُوَحِّداً لله عز وجل ؟

اعلم . أخي ـ وفقك الله إلى ما يحب ويرضى ـ أن العبد لا يكون مُوَحِّداً لله عز وجل إلا بأمرين :

[الأمر الأول] أن يعرف حق الله تعالى ويثبته له وحده دون ما سواه .

وحقوق الله تعالى الخاصة به ثلاثة :

(الحق الأول) وهو أفعال خاصة بربوبيته لا تكون إلا له ، يختص بها سبحانه لا يجوز لأحد من البشر صَرْف شيء منها لغيره لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل . ومن هذه الأفعال التي لا تكون إلا له عز وجل (أنه هو الذي يخلق من العدم ، ويرزق من العدم ، ويحيي ، ويميت ، وينفع ، ويضر ، ويدبر الأمر وَيُصَرِّف الكون ، ويصدر الأحكام ويُشَرِّع ، وأنه بيده ملكوت كل شيء سبحانه) .

(الحق الثاني) وهو أسماء وصفات يَتّصف بها ويختص بها سبحانه لا تكون إلا له وحده . لا يجوز لأحد من البشر صَرْف شيء منها لغيره لا لملك مُقَرّب ولا لنبي مرسل .

أمَّا أسماء الله تعالى الخاصة به . كاسم (الله) و (الأحد) و (الصمد) و (الرحمن) و (القدوس) وغيرها .(١)

وأمَّا صفات الله تعالى التي لا تكون إلا له (كصفة كمال القدرة وأنه على كل شيء قدير ، ومنها صفة كمال العلم وأنه قد أحاط بكل شيء علماً ومن ذلك صفة علم

---

(١) وأمَّا إسم (الكريم) و(الرحيم) و(الملك) فهي أسماء مشتركة بين الله وبين عباده .

الغيب ، ومنها صفة كمال السمع وأنه يسمع القريب والبعيد ، وغير ذلك من صفات الكمال التي لا تكون إلا له عزوجل) .

(الحق الثالث) وهو عبادات محضة خالصة له سبحانه لا تكون إلا له ، وهي حقٌ له على عباده ، يصرفها له عباده ويفردونه بها ، لأنه هو الذي خلقهم ورزقهم ويميتهم ويحييهم قال الله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الروم :٤٠] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة : ٢١ ـ ٢٢] .

وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : كنت رديف النبي ﷺ على حمار . فقال : يا معاذ أتدري ماحق الله على عباده وما حق العباد على الله؟ ! قال الله ورسوله أعلم . قال : « حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا» قال يارسول الله . أفلا أبشِّر الناس . قال : « لا تبشرهم فيتكلُوا » .

ومن أنواع العبادة التي لا تكون إلا لله (الدعاء ، والركوع ، والسجود ، والمحبة ، والتعظيم ، والخوف ، والرجاء ، والإنابة ، والرغبة ، والرهبة ، والخشوع ، والخشية ، والتوكل ، والإستغاثة ، والإستعانة ، والإستعاذة ، والنذر ، والذبح ، والطواف ، والتحاكم . وغير ذلك من العبادات التي لا تكون إلا له فمن صَرَفَ منها شيئاً لغيره فإنه مشركٌ كافر وإن صلى وصام وحج وزعم أنه مسلم) .

[الأمر الثاني] أن يُوَحّد الله تعالى ويعبده باعتقاده وقوله وفعله ، لأن عبادة الله تعالى وتوحيده مبنيان على ركنين :

الأول : وهو الكفر بالطاغوت . **والثاني** : وهو الإيمان بالله وحده .

(أمَّا الكفر بالطاغوت) : فهو الركن الأول من أركان التوحيد ، ولا يصح هذا الركن حتى يكفر العبد بالطاغوت باعتقاده ، وقوله ، وفعله . فإذا كَفَرَ العبد بالطاغوت باعتقاده وقوله وفعله ، فإنه حينئذ يكون كافراً بالطاغوت وإن اختل لازمٌ واحدٌ من أحد هذه اللوازم الثلاث لم يكن العبد كافراً بالطاغوت .

والدليل قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل : ٣٦] . وقد بيَّنا في ما سبق أن الاجتناب يكون بالاعتقاد والقول والفعل .

مثال ذلك : لو اعتقد إنسانٌ أن الله تعالى هو المشرِّع وحده وتلفظ بهذا الاعتقاد ، ولكنه ذهب بعد ذلك وفعل فعلاً كفرياً كأن نَصَّبَ بفعله مُشَرعاً مع الله في سلطة تشريعية تصرف لنفسها حق التشريع المطلق الذي لا يكون إلا لله ، فإنه حينئذ يكون مشركاً بالله تعالى في ربوبيته في جانب العمل ، لأنه قد ناقض فعله اعتقاده .

يقول الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمة الله عليه:

« واعلم رَحِمَكَ الله أن دين الله يكون على القلب بالاعتقاد والحب والبغض ، ويكون على اللسان بالنطق وترك النطق بالكفر ، ويكون على الجوارح بفعل أركان الإسلام وترك الأفعال التي تُكَفِّر فإذا اختل واحد من هذه الثلاث كَفَرَ وارتد» .

(وأمَّا الإيمان بالله وحده) فهو الركن الثاني من أركان التوحيد ، ولا يصح هذا الركن حتى يؤمن العبد بالله تعالى ويعبده باعتقاده ، وقوله ، وفعله . فإذا آمن العبد بربه باعتقاده وقوله وفعله ، فإنه حينئذ يكون مؤمناً بالله ،وإن اختل لازمٌ واحدٌ من أحد

---

(١) الدرر السنية ـ كتاب حكم المرتد (٨/ ٨٧)

هذه اللوازم الثلاث لم يكن العبد مؤمناً بالله . وقد بوَّب الإمام الآجري رحمة الله عليه باباً في كتابه (الشريعة) فقال « باب القول بأن الإيمان تصديق القلب ، وإقرار اللسان ، وعمل الجوارح ، لا يكون مؤمناً إلا أن تجتمع فيه هذه الخصال الثلاث » .

إذاً يكون العبد مُوَحّداً لله عز وجل بأمرين :

الأمر الأول : وهو معرفة حق الله تعالى ، وقد بَيَّنَّا فيما سبق في الأمر الأول أنها ثلاثة حقوق .

الأمر الثاني : أن يُوَحّد الله تعالى ويعبده باعتقاده وقوله وفعله ، وقد بَيَّنا في الأمر الثاني كيفيَّة عبادة الله تعالى بالاعتقاد والقول والفعل وهو أن يستوفي العبد جميع لوازم الكفر بالطاغوت وجميع لوازم الإيمان بالله .

يقول الإمام محمد بن عبد الوهاب في رسالته كشف الشبهات :

« ولا خلاف أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً » .

ويقول أيضا رحمه الله تعالى « فنقول : لا خلاف بين الأمة ، أن التوحيد : لابد أن يكون بالقلب ، الذي هو العلم ؛ واللسان ، الذي هو القول ؛ والعمل ، الذي هو تنفيذ : الأوامر والنواهي ؛ فإن أخل بشيء من هذا ، لم يكن الرجل مسلماً ؛ فإن أقر بالتوحيد ، ولم يعمل به ، فهو : كافر ، معاند ، كفرعون ، وإبليس ، وإن عمل بالتوحيد ظاهراً ، وهو لا يعتقده باطناً ، فهو : منافق خالصاً ، أشر من الكافر » أهـ .[1]

ويقول الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين رحمه الله تعالى :

(فإذا عرف المسلم عظم شأن هذه الكلمة ، وما قُيِّدت به من القيود ، ولابد

(١) الدرر السنية (٢/ ١٢٤) .

من ذلك أن يكون إعتقاداً بالجنان ، ونطقاً باللسان ، وعملاً بالأركان ، فإن اختل نوع من هذه الأنواع لم يكن الرجل مسلماً . كما ذكر الله ذلك وبيّنه في كتابه ، فإذا كان الرجل مسلماً وعاملاً بالأركان ثم حدث منه قول أو فعل أو اعتقاد يناقض ذلك لم ينفعه ذلك ، كما قال الله تعالى للذين تكلموا بالكلام في غزوة تبوك : ﴿ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة : ٦٦] . وقال تعالى في حق الآخرين : ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ ﴾ [التوبة : ٧٤] أهـ .(١)

ويقول العلامة سليمان بن سحمان رحمه الله تعالى رحمةً واسعة :

« فلابدّ في شهادة : أن لا إله إلا الله ، من اعتقاد بالجنان ، ونطق باللسان ، وعمل بالأركان ، فإن اختل نوع من هذه الأنواع ، لم يكن الرجل مسلماً ، فإذا كان الرجل مسلماً وعاملاً بالأركان ، ثم حدث منه قول ، أو فعل ، أو اعتقاد ، يناقض ذلك ، لم ينفعه قول : لا إله إلا الله ، وأدلة ذلك في الكتاب والسنة ، وكلام أئمة الإسلام ، أكثر من أن تُحصر » .(٢)

ويقول العلامة الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله :

« وأيضاً : فقد ذكر الفقهاء ، في حكم المرتد : أن الرجل قد يكفر بقول يقوله ، أو عمل يعمله ، وإن كان يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ويصلي ، ويصوم ، ويتصدق ، فيكون مرتداً تحبط أعماله ما قال أو فعل ، خصوصاً إن مات على ذلك ، فيكون حبوط أعماله إجماعاً ، بخلاف ما إذا تاب قبل الموت ، ففيه الخلاف » أهـ .(٣)

---

(١) مجموعة التوحيد ـ الرسالة الثامنة ـ أسباب نجاة السؤول من السيف المسلول للشيخ عبد الله أبابطين .

(٢) الدرر السنية (٢/ ٣٥٠) .

(٣) (الدرر السنية ١١/ ٥٨٦) .

ثالثاً : نواقض التوحيد
وهي نواقض لا إله إلا الله

والناقض : هو ما يلزم من وجوده العدم ، وهو ما يفسد الشيء ويبطل بوجوده . فيجب أن تعلم أخي المسلم أن للتوحيد نواقض كما أن للصلاة نواقض إذا وقع المصلي في أي ناقض منها بطلت صلاته ، كالضحك قهقهة ، وكالأكل والشرب في الصلاة ونحو ذلك من مبطلات الصلاة ، فكذلك التوحيد له نواقض إذا وقع العبد في أي ناقض منها بطل توحيده وكان بالله مشركاً كافراً .

ومن نواقض التوحيد ما يلي :

١ ـ الشرك بالله تعالى . قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الزمر : ٦٥] .

٢ ـ من جعل بينه وبين الله وسائط يسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم . قال الله تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ﴾ [يونس : ١٨] .

وهذا هو حال من يأتون قبور الأولياء والصالحين فيصرفون لهم شتى أنواع العبادات من دعاء ، أو نذر ، أو ذبح ، أو استغاثة أو طواف حول قبورهم . معتقدين أنهم سوف يكونون لهم شفعاء عند الله .

٣ ـ من لم يُكَفّر المشركين أو يشك في كفرهم أو صحح مذهبهم كَفَر . ومقصود الشك هنا أن يشك الإنسان المسلم في كفر من أجمعت الأمة على كفره كاليهود والنصارى والمشركين وغيرهم . وليس هناك فرق بين مشركي الجاهلية

الذين شهدوا على أنفسهم بأنهم مشركين وبين مشركي هذا الزمان الذين يدعون الإسلام والإيمان وهم يصرفون حق الله تعالى وما يختص به عز وجل لغيره . يقول الإمام الشوكاني رحمه الله : « إذ ليس الشرك هو مجرد إطلاق بعض الأسماء على بعض المسميات ، بل الشرك هو أن يُفعل لغير الله شيئاً يختص به سبحانه ، سواء أطلق على ذلك الغير ما كان تطلقه عليه الجاهلية أو أطلق عليه إسماً آخر فلا اعتبار بالإسم فقط » أهـ .(١)

٤ ـ من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه كَفَرَ . قال الله تعالى : ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة :٦٦] .

٥ ـ السحر ومنه (الصرف) وهو التفريق بين اثنين كالزوج والزوجة ووقوع الكراهية بينهم بسبب هذا النوع من السحر . ومنه (العطف) وهو كفعل التوله وهو شيء كانت المرأة تجلب به محبة زوجها وهو ضرب من السحر ، وإنما كان من الشرك لما يراد به من دفع المضار وجلب المنافع من غير الله تعالى فمن فعله فقد كَفَر قال تعالى : ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ﴾ [البقرة :١٠٢] .

٦ ـ مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين . قال تعالى : ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝٥١﴾ [المائدة :٥١](٢) . ومظاهرة المشركين : أي مناصرتهم وإعانتهم على المسلمين .

٧ ـ القسم على احترام الصنم أو الوثن أو الدستور الوضعي أو غيرها من الطواغيت .

---

(١) الدرر النضيد ـ ضمن الرسائل السلفية ص ١٨ .

(٢) مجموعة التوحيد ـ الرسالة الأولى بتصرف .

يقول الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:

« واعلم رحمك الله أن دين الله يكون على القلب بالإعتقاد والحب والبغض ، ويكون على اللسان بالنطق وترك النطق بالكفر ، ويكون على الجوارح بفعل أركان الإسلام وترك الأفعال التي تُكَفِّر فإذا اختل واحد من هذه الثلاث كَفَرَ وارتد » .(١)

وقال في رسالته كشف الشبهات : «فإذا تحققت أن بعض المنافقين الذين غزوا الروم مع رسول الله ﷺ كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزح واللعب ، تَبَيَّن لك أن الذي يتكلم بالكفر ، أو يعمل به خوفاً من نقص مال ، أو جاه ، أو مداراة لأحد أعظم ممن تكلم بكلمة يمزح بها » .

٨ ـ أن يجعل العبد شريكاً مع الله تعالى ونداً له في المحبة . يقول الإمام ابن قيم : (ولهذا كان أعظم الذنوب عند الله الشرك وأصل الشرك بالله : الإشراك في المحبة ، كما قال تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة : ١٦٥])أهـ . (الجواب الكافي ـ فصل التتيم)

٩ ـ ولاء الجندية للطاغوت والعمل معه في سلكه العسكري من جيشه وشرطته ، ومناصرته وتكثير سواده والقتال معه . فإن ذلك من أعظم معاني الولاء للطاغوت .

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة :٥١] .

وهذا في حق من يتولى اليهود والنصارى . فكيف بمن يتولى الطواغيت .

وقال تعالى : ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [المائدة :٨١] .

وهو أيضاً ينافي أصل التوحيد الذي هو الكفر بالطاغوت والإيمان بالله ، قال

---

(١) الدرر السنية ـ (٨/ ٨٧) .

تعـالى : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ [البقرة :٢٥٦] .

وقـال تعـالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [النساء :٧٦] .

وهكذا الذي يدخل في سلكه العسكري وإن لم يقاتل معه وأبغضه وكفَّره فإنه يشمله هذا الحكم ، لأنه قد أظهر الولاء الأعظم للطاغوت فيحكم عليه بالظاهر ، أما سريرته فإلى الله عزَّ وجلَّ ، روى الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ في صحيحه عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : «إن أناساً كانوا يُؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ وإن الوحي قد انقطع ، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم ، فمن أظهر لنا خيراً أمَّنَّاه وقرَّبناه ، وليس إلينا من سريرته شيء ، الله يحاسب في سريرته ، ومن أظهر لنا سوءاً لم نأمنه ولم نصدقه وإن قال : إن سريرته حسنة» (١).

وكونه هنا واقع في الكفر الأكبر لأنه لم يكفر بالطاغوت فإن صفة الكفر بالطاغوت لها خمسة أركان .

١ ـ اعتقاد بطلانه .

٢ ـ تركه واجتنابه .

٣ ـ بغضه .

٤ ـ عداوته .

٥ ـ تكفيره .

فالعداوة عمل ظاهر ، والبغض عمل القلب وهو عمل باطن ، فمن اعتقد بطلان الطاغوت وأبغضه وكفَّره ولكنه لم يعاديه ولم يجتنبه ، بل أظهر له أعظم معاني الولاء وهو ولاء الجندية له لم ينفعه حينئذ بغضه أو تكفيره لأنه قد اختل عنده أحد هذه

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الشهادات .

الأركان وهو العداوة . فإن عداوة الطاغوت تقتضي وتستلزم تركه واجتنابه وعدم الدخول في جيشه وتكثير سواده ، ومقصودنا بالعداوة هنا أن لا يظهر الإنسان ما ينافيها ويناقضها من إظهار الولاء لأعداء الله ورسوله ، فالذي لا يجهر مثلاً بالعداوة ويظهرها للكفار بسبب ضعفه وعدم لحاق الضرر به ، هذا لا نقول عنه إنه لم يحقق ركن العداوة هنا إن كان يدين الله عزَّ وجلَّ ببغض الكفار وعداوتهم ، ولم يظهر ما ينافي تلك العداوة من الولاء لهم .

وسوف يأتي ـ بمشيئة الله ـ في الرسالة الثانية عند الشبهة السادسة مزيد من البيان والتفصيل في هذه المسألة ، وكيف أن النبي ﷺ عامل عمه العباس ومن معه من المسلمين عندما خرجوا في غزوة بدر مع المشركين يكثرون سوادهم[(١)] عاملهم معاملة الكفار مع أنهم خرجوا مكرهين ، ولم يعذرهم النبي ﷺ في كونهم مكرهين على ذلك ، كما سوف يأتي ، فكيف بمن هو على غير هذا الحال ، ويلتحق بهذه الجيوش طواعية من عند نفسه ، بحثاً عن حفنة من مال كما هو حال كثير من المرتزقة الذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة ، ويكثرون سواد جيوش الطواغيت ، ويظهرون لهم أعظم معاني الولاء؟ ! ! يقول الله تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [النحل :١٠٧] .

يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب في رسالته كشف الشبهات عند هذه الآية : «فصرَّح أن هذا الكفر لم يكن بسبب الاعتقاد أو الجهل أو البغض للدين ، أو محبة الكفر ، وإنما سببه أن له في ذلك حظاً من حظوظ الدنيا ، فآثره على الدين»أهـ .

---

(١) أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن عكرمة مولى ابن عباس قال : أخبرني ابن عباس أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على رسول الله ﷺ يأتي السهم فيرمي به فيصيب أحدهم فيقتله أو يضرب فيقتل ، فأنزل الله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء :٩٧] .

كلمات نافعة طيِّبة

للإمام محمد بن عبد الوهاب

في بيـــــان

معنى التوحيد ومعنى لا إله إلا الله

يقول الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى :

(فصل في معنى : لا إله إلا الله ، اعلم رحمك الله تعالى ، أن « لا إله إلا الله » هي : الكلمة العالية ، والشريفة الغالية ، من استمسك بهافقد سلم ، ومن اعتصم بها فقد عصم ،قال رسول الله ﷺ : « من قال لا إله إلا الله ، وكفر بما يعبد من دون الله ، حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله عزّ وجلّ » رواه مسلم .

والحديث يُفصح : أن لا إله إلا الله ، لها لفظ ومعنى ، ولكن الناس فيها ثلاث فرق ، فرقة نطقوا بها وحققوها ، وعلموا أن لها معنى وعملوا به ، ولها نواقض فاجتنبوها . وفرقة : نطقوا بها في الظاهر ، فزينوا ظواهرهم بالقول ، واستبطنوا الكفر والشك . وفرقة نطقوا بها ، ولم يعملوا بمعناها ،وعملوا بنواقضها ، فهؤلاء (الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً) .

فالفرقة الأولى ، هي : الناجية ، وهم المؤمنون حقاً ، والثانية هم : المنافقون ، والثالثة هم : المشركون ، فلا إله إلا الله : حصن ، ولكن نصبوا عليه منجنيق التكذيب ، ورموه بحجارة التخريب ،فدخل عليهم العدوّ فسلبهم المعنى وتركهم مع الصورة ، وفي الحديث : «إن الله لاينظر إلى صوركم وأبدانكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» سلبوا معنى : لا إله إلا الله ، فبقي معهم لقلقة باللسان ، وقعقعة

بالحروف ، وهو ذكر الحصن لا مع الحصن ، فكما أن ذكر النار لا يُحرق ، وذكر الماء لا يُغرق ، وذكر الخبز لا يُشبع ، وذكر السيف لا يقطع ، فكذلك ذكر الحصن لا يمنع .

فإن القول : قشر ، والمعنى : لبّ ، والقول : صدف ، والمعنى : درّ ، ماذا يصنع بالقشر مع فقدان اللب؟ ! وماذا يصنع بالصدف مع فقدان الجوهر؟ ! . لا إله إلا الله مع معناها بمنزلة الروح من الجسد ، لا يُنتفع بالجسد دون الروح ، فكذلك لا يُنتفع بهذه الكلمة دون معناها .

فعالم الفضل أخذوا بهذه الكلمة بصورتها ومعناها ، فزينوا بصورتها ظواهرهم بالقول ، وبواطنهم بالمعنى ، وبرز لهم شهادة القدم بالتصديق ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١٨﴾ [آل عمران :١٨] .

وعالم العدل (١) : أخذوا هذه الكلمة بصورتها دون معناها ، فزينوا ظواهرهم بالقول ، وبواطنهم بالكفر ، بالاعتقاد فيمن لا يضر ولا ينفع ، فقلوبهم مسودة مظلمة ، لم يجعل الله لهم فرقاناً يفرقون به بين الحق والباطل ، ويوم القيامة يبقون في ظلمة كفرهم ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ ۝١٧﴾ [البقرة :١٧] .

فمن قال : لا إله إلا الله ، وهو عابد لهواه ، ودرهمه ، وديناره ، ودنياه ، ماذا

---

(١) كلمة العدل في الغالب تقابلها كلمة الفضل من جهة الثواب والعقاب عند الله عز وجل ومن ذلك قول البيجوري في منظومته (الجوهرة) : فإن يثبنا فبمحض الفضل . . . وإن يُعذّب فبمحض العدل

ولكن لعل مقصود الشيخ هنا بقوله : « وعالم العدل » أي الذين عدلوا وساووا الله بغيره في العبادة وجعلوا له شريك . قال تعالى في سورة الأنعام : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ .

يكون جوابه يوم القيامة لمولاه ؟ ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية :٢٣] . « تعس عبد الدينار ، وعبد الدرهم ، وعبد الخميصة ، إن أعطى رضي ، وإن لم يعط سخط » رواه البخاري .

إذا قلت : لا إله إلا الله ، فإن كان مسكنها منك اللسان لا ثمرة لها في الثمرة ، فأنت منافق ، وإن كان مسكنها منك القلب ، فأنت مؤمن ،وإياك أن تكون مؤمناً بلسانك دون قلبك ، فتنادى عليك هذه الكلمة في عرصات القيامة [إلهي صحبته كذا وكذا سنة ، فما اعترف بحقي ، ولا رعى لي حرمتي ، حق رعايتي] فإن هذه الكلمة تشهد لك أو عليك .

فعالم الفضل : تشهد لهم بالإحترام حتى تدخلهم الجنة ؛ وعالم العدل تشهد لهم بالإجترام حتى تدخلهم النار ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ۝٧﴾ [الشورى :٧] .

لا إله إلا الله : شجرة السعادة إن غرستها في منبت التصديق ، وسقيتها من ماء الإخلاص ، ورعيتها بالعمل الصالح رسخت عروقها ، وثبت ساقها ، واخضرت أوراقها ، وأينعت ثمارها ، وتضاعف أكلها ﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم :٢٥] .

وإن غرست هذه الشجرة في منبت التكذيب والشقاق ، وأسقيتها بماء الرياء ، والنفاق ، وتعاهدتها بالأعمال السيئة ، والأقوال القبيحة ، وطفح عليها غدير العَذر ، ولفحها هجير هجر ، تناثرت ثمارها ، وتساقطت أوراقها ، وانقشع ساقها ، وتقطعت عروقها ، وهبَّت عليها عواصف القذر ، ومزَّقتها كل مُمَزَّق ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ۝٢٣﴾ [الفرقان :٢٣] .

فإذا تحقق المسلم هذا ، فلابد معه من تمام : بقية أركان الإسلام ، كما في

الحديث الصحيح : « بني الإسلام على خمس ، شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت الحرام من استطاع إليه سبيلاً ، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين » . وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم) أهـ .(١)

---

(١) الدرر السنية ٢/ ١١٢) .

لا إله إلا الله: قولاً وعملاً

ويقول أيضاً رحمه الله:

(اعلم أرشدك الله، أن الله خلقك لعبادته، وأوجب عليك طاعته، ومن أفرض عبادته عليك معرفة (لا إله إلا الله) علماً وقولاً وعملاً، والجامع لذلك قوله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقوله: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى: ١٣].

فاعلم أن وصية الله لعباده هي كلمة التوحيد الفارقة بين الكفر والإسلام فعند ذلك افترق الناس سواء جهلاً أو بغياً أو عناداً، والجامع لذلك اجتماع الأمة على وفق قول الله: ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾.

وقوله: ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨) ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فالواجب على كل أحد إذا عرف التوحيد وأقر به أن يحبه بقلبه وينصره بيده ولسانه، وينصر من نصره ووالاه، وإذا عرف الشرك وأقر به أن يبغضه بقلبه، فعند ذلك يدخل في سلك من قال الله فيهم: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾.

فنقول: لا خلاف بين الأمة أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب الذي هو العلم، واللسان الذي هو القول، والعمل الذي هو تنفيذ الأوامر والنواهي فإن أخل بشيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً، فإن أقر بالتوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند، كفرعون وإبليس، وإن عمل بالتوحيد ظاهراً وهو لا يعتقده باطناً فهو منافق خالص أشر من الكافر، والله أعلم.

قال رحمه الله : وهو نوعان توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية . أما توحيد الربوبية فأقر به الكافر والمسلم ، وأما توحيد الألوهية فهو الفارق بين الكفر والإسلام ، فينبغي لكل مسلم أن يميِّز بين هذا وهذا ويعرف أن الكفار لا ينكرون أن الله هو الخالق الرازق المدبر ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ (٣١) ﴾ [يونس : ٣١] .

وقال : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (٦١) ﴾ [العنكبوت : ٦١] .

فإذا تبيَّن لك أن الكفار يقرون بذلك ، عرفت أن قولك لا يخلق ولا يرزق إلا الله ولا يدبر الأمر إلا الله ، لا يُصَيِّرك مسلماً ، حتى تقول :(لا إله إلا الله) مع العمل بمعناها ، فهذه الأسماء كل واحد منها له معنى يخصُّه ، أما قولك الخالق ، فمعناه الذي أوجد جميع مخلوقاته بعد عدمها ، فأما قولك :الرازق فمعناه :أنه لما أوجد الخلق أجرى عليهم أرزاقهم ، وأما المدبر ، فهو الذي تنزل الملائكة من السماء إلى الأرض بتدبيره ، وتصعد إلى السماء بتدبيره ، ويسير السحاب بتدبيره ، وتصرف الرياح بتدبيره ، وكذلك جميع خلقه هو الذي يدبرهم على ما يريد ، فهذه الأسماء التي يقر بها الكفار متعلقة بتوحيد الربوبية ، التي يقر بها الكفار ، وأما توحيد الألوهية فهو قولك : (لا إله إلا الله) وتعرف معناها كما عرفت معنى الأسماء المتعلقة بالربوبية ، فقولك : لا إله إلا الله نفي وإثبات ، فتنفي الألوهية كلها وتثبتها لله وحده . . . ، والإله المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له ، وهو الله وحده ، فمن نذر لغير الله أو ذبح له فقد عبده ، وكذلك من دعا غير الله . . قال الله تعالى : ﴿ وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦) ﴾ [يونس : ١٠٦] ، وكذلك من جعل بينه وبين الله واسطة ، وزعم أنها تُقَرِّبه إلى الله فقد عبده

، وقد ذكر الله ذلك عن الكفار فقال تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [يونس :١٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الزمر :٣]) أهـ .(١)

---

(١) مجموعة الفتاوى والرسائل والأجوبة ـ خمسون رسالة في التوحيد ـ للإمام محمد بن عبدالوهاب ص ١٣٩ بتصرف ـ وانظر أيضاً (الدرر السنية ٢ / ١٢٤) .

ما يتميَّز به المسلم عن المشرك

ويقول أيضاً رحمه الله : (بسم الله الرحمن الرحيم _ الحمد لله الذي يستدل على وجوب وجوده ببدائع ما له من الأفعال ، المنزَّه في ذاته وصفاته عن النظائر والأمثال ، أنشأ الموجودات فلا يعزب عن علمه مثقال ، أحمده سبحانه وأشكره إذ هدانا لدين الإسلام ، وأزاح عنَّا شبه الزيغ والضلال ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة موحّد له في الغدو والآصال ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله نبي جاءنا بدين قويم فارتوينا مما جاءنا به من عذب زلال ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأصحابه الذين هم خير صحب وآل ، وسلم تسليماً .

أما بعد ، فقدطلب مني بعض الأصدقاء الذي لا تنبغي مخالفتهم أن أجمع مؤلفاً يشتمل على مسائل أربع وقواعد أربع يتميَّز بهن المسلم من المشرك .

الأولى : أن الذي خلقنا وصوَّرنا لم يتركنا هملا ، بل أرسل إلينا رسولا معه كتاب من ربنا ، فمن أطاع فهو في الجنة ومن عصى فهو في النار ، والدليل قوله تعالى : ﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً** ﴿١٥﴾ ﴾ [المزمل : ١٥] .

الثانية : أنه سبحانه ما خلق الخلق إلا ليعبدوه وحده مخلصين له الدين والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات : ٥٦] . وقال : ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** ﴿٥﴾ ﴾ [البينة : ٥] .

الثالثة : أنه إذا دخل الشرك في عبادتك بطلت ولم تُقبل ، وأن كل ذنب يرجى له العفو إلا الشرك . والدليل قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴿٦٥﴾ ﴾ [الزمر : ٦٥] .

وقال : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨)﴾ [النساء : ٤٨] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢) ﴾ [المائدة : ٧٢] .

المسألة الرابعة : أنه إذا كان عملك صواباً ولم يكن خالصاً لم يُقبل ، وإذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل ، فلابد أن يكون خالصاً صواباً على شريعة محمد ﷺ ، ولذلك قال سبحانه في علماء أهل الكتاب وعبَّادهم وقرّائهم : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) ﴾ [الكهف : ١٠٣ـ١٠٤] .

وقال تعالى : ﴿ وجوهٌ يومئذ خاشعة * عاملة ناصبة * تصلى ناراً حامية ﴾ [الغاشية : ٢] .

وهذه الآيات ليست في أهل الكتاب خاصة ، بل كل من اجتهد في علم أو عمل أو قراءة وليس موافقا لشريعة محمد ﷺ فهو من الأخسرين أعمالا الذين ذكرهم الله تعالى في محكم كتابه العزيز ، وإن كان له ذكاء وفطنة ، وفيه زهد وأخلاق ، فهذا العذر لا يوجب السعادة والنجاة من العذاب إلا باتباع الكتاب والسنة ، وإنما قوة الذكاء بمنزلة قوة البدن وقوة الإرادة ، فالذي يؤتى فضائل علمية وإرادة قوية ، وليس موافقا للشريعة بمنزلة من يؤتى قوة في جسمه وبدنه) أهـ .(١)

---

(١) مجموعة الفتاوى والرسائل والأجوبة ـ خمسون رسالة في التوحيد ـ للإمام محمد بن عبدالوهاب ص ٣٣ طبعة مكتبة التراث الإسلامي .

أصل دين الإسلام وقاعدته

ويقول أيضاً رحمه الله : (أصل دين الإسلام وقاعدته أمران :

الأول : الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ، والتحريض على ذلك ، والموالاة فيه ، وتكفير من تركه .

الثاني : الإنذار من الشرك في عبادة الله ، والتغليظ في ذلك ، والمعاداة فيه وتكفير من فعله ، والمخالفون في أنواع : فأشدّهم مخالفة من خالف في الجميع . ومن الناس من عبد الله وحده ولم ينكر الشرك ، ولم يُعاد أهله .

ومنهم : من عاداهم ولم يُكَفّرهم .

ومنهم : من لم يحب التوحيد ولم يبغضه .

ومنهم : من كَفَّرهم وزعم أنه مسبة للصالحين .

ومنهم : من لم يبغض الشرك ولم يحبه .

ومنهم : من لم يعرف الشرك ولم ينكره .

ومنهم : من لم يعرف التوحيد ولم ينكره .

ومنهم :ـ وهو أشد الأنواع خطراً ـ من عمل بالتوحيد ولكن لم يعرف قدره ولم يبغض من تركه ، ولم يُكَفّرهم :

ومنهم : من ترك الشرك وكرهه ، ولم يعرف قدره ، ولم يُعاد أهله ولم يُكَفّرهم ، وهؤلاء قد خالفوا ماجاءت به الأنبياء من الله سبحانه وتعالى . والله أعلم) أهـ .[1]

---

(١) مجموعة الفتاوى والرسائل والأجوبة ـ ص ١٢٦ طبعة مكتبة التراث الإسلامي .

وللشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله شرحٌ نفيس لهذه الكلمات ، فَلْيُرجع إليه في (مجموعة التوحيد ـ الرسالة الأولى ـ ص ٤٧) .

ويقول أيضاً رحمه الله : (وأنت يامن مَنَّ الله عليه بالإسلام وعرف أن ما من إله إلا الله ، لا تظن أنك إذا قلت : هذا هو الحق ، وأنا تارك ما سواه ، لكن لا أتعرَّض للمشركين ولا أقول فيهم شيئاً ، لا تظن أن ذلك يحصل لك به الدخول في الإسلام ، بل لابد من بغضهم وبغض من يحبهم ومسبتهم ومعاداتهم ، كما قال أبوك إبراهيم والذين معه : ﴿ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ [الممتحنة : ٤] وقال تعالى : ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] . وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل : ٣٦] .

ولو قال رجل : أنا أتبع النبي ﷺ وهو على الحق ، لكن لا أتعرَّض للاّت والعزى ، ولا أتعرض لأبي جهل وأمثاله ، ما عليَّ منهم ، لم يصح إسلامه) أهـ . (١) .

(١) مجموعة الفتاوى والرسائل والأجوبة ـ ص ١٢٦ ، طبعة مكتبة التراث الإسلامي .